١٠٣٦ 1036
دار م. النحاس
HARLEQUIN®
سلسلة قصص و روايات عبير

حب جديد

كارلا كاسيدي

www.elromancia.com
مرمورية

حب جديد

كارلا كاسيدي

تركت الحياة اليومية الرتيبة للمدينة الصغيرة، في أعماق معلمة المدرسة إيف وينتروب، رغبة عارمة تجاه شيء جديد مثير. ووصلت إلى مبتغاها حين دخل برايس ماكسويل المدينة يهدد بموتوسيكله، مرتدياً جاكتة جلدية سوداء وعلى وجهه ابتسامة ماكرة شيطانية. ولم يكن القادم الجديد الوسيم جاراً لإيف فقط، وإنما كان أيضاً المدير الجديد للمدرسة.

نهاراً، كانت أساليب برايس تهز الأساليب القديمة البالية لمؤسسي المدرسة. وليلاً، كانت عاطفته الجياشة تغري إيف على السير في الطريق الوعر.

وإذا ما استمر برايس في طريقه هذا، فإن مدينة باوكين أوكلاهوما، والآنسة إيف وينتروب لن يعودا كما كانا أبداً.

«أعتقد أن لديك شيئاً يخصني.»

«شيء يخصك؟»

ونظرت إيفا إليه مشدوهة ولاحظت كيف بلّل المطر شعره، مما جعل ملامحه الجريئة تبدو مفعمة بالحيوية. تماسكي يا فتاة، وبّخت بذلك نفسها وقلبها يخفق مضطرباً.

وتطلع بريس ساخراً، مما جعلها تلاحظ أنه يحمل سلة من الملابس المغسولة بيده.

«أجل، وأعتقد أن هذه الملابس لك.»

وأومأ إلى القطعة البارزة في السلة والتي كانت قطعة من ملابسها الداخلية ذات القماش القطني الأبيض. وظهر في عينيه بريق نظرة غير محتشمة مما جعل وجهها يمتقع للحظة ثم يعلوه الاحمرار.

للحظة واحدة، طائشة، أرادت أن تنكر بشدة أن هذه الملابس الداخلية العادية لها. ولسبب جنوني، أرادت أن يعتقد أنها ميّالة إلى ارتداء الملابس الداخلية المثيرة.

لكن هذا الجنون اختفى بالسرعة التي ظهر فيها.

كارلا كاسيدي

منذ أربعة عشر عاماً، سارت كارلا في ممرّ الكنيسة، بين المدعوين، لتزفّ إلى بريس. وبقي معظم يوم زفافها، في ذاكرتها، ملفوفاً بالضباب... فهي لم تعد تذكر نوع الأزهار التي كانت تحملها، ولا الموسيقى التي كانت تعزف... ما بقيت تذكره فقط، هو النظرة التي بدت في عينيه بينما كانت تقترب منه... كانت نظرة حب، وقد أبقتها هذه النظرة سعيدة في زواجها منذ ذلك الحين.

www.elromancia.com

الفصل الأول

لا تعمد إلى قص شعرك عندما تكون غاضباً أو مستاءً.

تمنّت أيفا وينتروب لو أن أحداً أسدى إليها بهذه النصيحة قبل نصف ساعة، عندما التقطت مقصاً وشرعت تقص شعرها. وما بدا أنه عملية تهذيب شعر بسيطة قد تحوّل إلى تشويه شعر رأسها بنسبة كبيرة.

أرعبتها رؤية انعكاس صورتها في المرآة، وهي تلحظ وقوف خصلات شعرها الناتئة المتفاوتة فوق رأسها. مأساة، ما الذي فعلته؟ لقد بدت وكأنها عجوز شمطاء.

قفزت من مكانها عندما دق جرس الباب. مبهورة لما أحدثت من تشويه في شعرها، ومضت لترى من الطارق وما زال المقص في يدها.

أول ما استرعى انتباهها في الرجل الواقف عند عتبة الباب، شعره الأسود الداكن، الكثيف. كان شعره أطول بكثير من شعرها، مع جعدة عند كتفيه. تمنّت على الفور لو كان هذا شعرها هي.

«هل هذه الشقة المزدوجة للإيجار؟» بدا صوته خافتاً كصوت الرعد الآتي من بعيد. واستبانت منه لهجة منطقة الساحل الشرقي.

حوّلها صوته فجأة من إعجابها الشديد بشعره لتلاحظ على الفور أشياء أخرى حول مظهره الخارجي. صفاء عينيه الزرقاوين اللتين لم تر لهما مثيلاً. وجذعه القوي

تحت السترة الجلدية الضيقة السوداء. قسمات وجهه، التي بدت وكأنها نحتت بإزميل، كانت تنم عن قساوة حياته وقد خففت من حدتها الغمازة الظاهرة على كل خد.

توردت وجنتاها وقد أدركت أنه ينتظر منها جواباً، فقالت وهي تشير بالمقص إلى الباب الملاصق لشقتها: «أوه، كلا، إنها الشقة المجاورة.»

ابتسم ابتسامة مثيرة بعثت الرعشة في جسد ايفا، وأومأ إلى شعرها قائلاً: «هل فعلت ذلك عن عمد، أم أن رأسك كان أقرب من اللازم من مفرمة اللحم؟»

فنظرت إليه بغيظ. هل تراها أساءت فهم ما قال؟ «أرجو المعذرة.» أمعن فيها النظر من رأسها حتى أخمص قدميها مما جعلها تشعر أن قميصها القطني المريح قد تحوّل إلى غلالة رقيقة، وسروالها الفضفاض قد تقلص: «إذا كان هذا هو الطراز الذي ستتبعينه لشعرك، لا شك أنك بحاجة إلى ملابس أخرى تتماشى معه.»

فردت وقد أشعرتها فظاظته بالإهانة: «أعتقد بأنك وقح.»

فمال برأسه إلى الوراء ضاحكاً، مبدياً بياض أسنانه الساطع. «وقح؟ تبدين وكأنك خادمة عجوز لمعلمة مدرسة.»

تمالكت ايفا نفسها وقد تملكها الحنق، ورمقته بنظرة باردة: «إنني معلمة مدرسة.»

تجعّد جبينه، ورفع حاجبيه السوداوين بفضول. «ولكن، هل أنت عجوز شمطاء؟»

فأغلقت الباب في وجهه بعنف آملة أن يصيب طرف أنفه الهش وهي تقول بحدة: «ذلك ليس من شأنك.» وتمتمت وهي

تعود مندفعة إلى مكانها أمام المرآة في الحمّام: «يا لصفاقة هذا الرجل.» وتمنّت أن يكون السيد وليامس، مالك المنزل، من الذكاء بحيث لا يؤجر الجانب الآخر من الشقة المزدوجة إلى هذا الرجل الفظ. هل كان ينقصها جار يرتدي الجلد، ثرثار وشيطان بغيض وكأن ما تحفل به حياتها من متاعب، ليس كافياً؟

«الحديث عن المتاعب...» وحدقت مرة أخرى في انعكاس صورتها في المرآة. لم يكن أمامها خيار سوى الذهاب إلى مصففة شعرها لإصلاح التشويه. مدت يدها إلى الهاتف، وفي غضون دقائق كانت تأخذ لنفسها موعداً. وفيما خرجت من الباب الأمامي، كان السيد وليامس والمهرج، مرتدي الجلد، يخرجان من الباب المجاور. وقال وليامس: «آه، آنسة وينتروب، أود أن أعرفك بجارك الجديد.»

فأجابت دون أن تعنى بالنظر إلى الرجل الذي بدا أنه سيقيم قريباً منها: «لقد التقينا من قبل.» وتكلفت ابتسامة إكراماً لصاحب المنزل ما لبثت أن تلاشت وهي تنظر بذهول إلى دراجة نارية ضخمة قابعة في الممرّ الخارجي والتي بدت وكأنها وحش متوعّد بوميض أقسامها المطليّة بالكروم، كذلك خزان الوقود المطلي بألوان النار المشتعلة.

رمت صاحب الدراجة بنظرة وهي تلحظ، مرة أخرى، سترته الجلدية. لو كان هناك رأس جمجمة مبتسمة أو ما يشابهها، مرسومة على ظهره، لافتعلت بلا ريب شجاراً مع السيد وليامس. فهي لا يمكن أن تسكن بجوار عضو في عصابة سائقي الدراجات.

وقالت وهي تسرع الخطى إلى حيث تقف سيارتها عند حافة الطريق: «أرجو المعذرة. لدي موعد.» واستحثت خطواتها عندما شعرت بتلك العينين الزرقاوين تلاحقانها. وشعرت بارتياح وهي تدخل سيارتها.

وهتفت كاتي بلاكمور بينما كانت تعمل على إصلاح التشويه الذي أصاب شعر ايفا: «يا حلوتي.. لقد أخبرتك مراراً أن لا تلتقطي المقص عندما تحتاجين إلى تهذيب شعرك بل تتصلي بي.»

فابتسمت ايفا نادمة. «لا تقلقي. أعتقد انني تعلمت درساً.»

فأجابتها كاتي وهي ترش خصلات الشعر السوداء بمحلول ثم تمشطها: «هه! هذا ما سمعته في المرة الأخيرة. إنك تفعلين ذلك فقط عندما تكونين مضطربة فعلاً. ما الذي قامت به كولين هذه المرة؟»

وتجهمت ايفا لذكر أختها الصغرى.

«أمضيت ليلة أمس أتدبر أمر إخراجها من السجن بكفالة.» وانتظرت ايفا لتنهي كاتي آهات الدهشة، ثم تابعت: «كان هناك أمر قضائي لملاحقتها، لارتكابها أربع مخالفات وقوف غير مدفوعة، واثنتان لتجاوز السرعة. وقد أوقفت وألقي القبض عليها لقيادتها السيارة دون تسديد الرسوم المستحقة.»

«كان عليك أن تبقيها في السجن. لعل ذلك يلقّنها درساً.»

وتراجعت كاتي، واستدارت إلى الأمام لتسوي شعر ايفا من الأمام.

«لا أستطيع القيام بذلك. ستصاب والدتي بنوبة اهتياج شديدة. فهي ما تزال تعتقد أن كولين طفلتها.»

فصاحت كاتي: «من تبلغ الثالثة والعشرين من العمر ليست طفلة.»

«إنها، على الأقل، وجدت أخيراً عملاً ويبدو أنها أحبته.»

«حسناً، إنها خطوة في الاتجاه الصحيح.» توقفت كاتي للحظة لتقص الشعر خلف أذن ايفا، ثم تابعت: «إذاً، ماذا عن حياتك العاطفية؟»

تنهّدت ايفا: «الحب؟ ماذا يعني ذلك؟ ليس عندي وقت للعواطف.»

«هذا لأنك مشغولة عنها جداً بإصلاح ما يفعله الآخرون..» توقفت كاتي للحظة لتزيل الغلاف عن العلكة وتضعها في فمها، ثم تربت بيدها على شعرها الأحمر المصفف. «إذاً لا وجود لرجال مثيرين في حياتك؟»

هزت ايفا رأسها، وقد ازعجها أن تكون صورة جارها الجديد سائق الدراجة في سرواله الجينز الضيّق هي أول ما قفز إلى مخيلتها...

بدا جذاباً بابتسامته ونظراته الماكرة، ولكن... إنه قطعاً ليس النوع الذي تفضّله ايفا. وتجهمت، مكتئبة عندما أدركت أنها، وهي في التاسعة والعشرين من العمر، ما زالت لا تعرف النوع الذي يروق لها بالضبط.

«كيف تجري الأمور في المدرسة؟»

فتجهمت ايفا ثانية وهي تقول: «فوضى حقيقية. منذ رحيل السيد ستيفنز منذ قرابة الشهرين، والمدرسة بكاملها آيلة للسقوط. مدرسة بدون مدير مثل بلد من دون حكومة، فوضى عارمة.»

www.elromancia.com

«متى يفترض بالشاب الجديد أن يبدأ عمله؟»

فهزت ايفا كتفيها مستهجنة: «في غضون اليومين القادمين. لست متأكدة تماماً. لقد تخلّفت عن اجتماع الأساتذة عندما أعلنوا عن ذلك.»

«أتعتقدين أنه سيصمد؟»

«إن استطاع إرضاء هيئة المدرسة.»

«تعنين إن استطاع إرضاء العجوز المتبجحة السيدة ورثنغون. إنها تسيطر على هيئة المدسة والأمر برمته يعود إليها.»

بقيت ايفا صامتة. فقد تعلمت منذ زمن أن لا تعلّق على الوضع الخاص للسيدة ورثنغتون بالنسبة إلى هيئة المدرسة. بالإضافة إلى أن الوظيفة التي حصلت عليها أختها للتو كانت سكرتيرة تلك المرأة. ما كانت لتقول شيئاً قد يصل إلى أذني السيدة ورثنغتن ويعرّض وظيفة أختها للخطر.

دفعت كاتي بفقاعة من الهواء من لبانتها، وتراجعت إلى الوراء لترى نتيجة عملها. «إنني مضطرة لإبقاء شعرك منتصباً من الأمام حيث لا أستطيع فعل الكثير بالطول الذي أبقيته له. على الأقل، لديك الشكل الذي يسمح لك بقص شعرك بهذا القصر.» أدارت كرسي ايفا لتتمكن ايفا، أيضاً، من تقييم النتيجة النهائية.

تفحصت ايفا انعكاس صورتها بدقة. الآن حيث أن الصدمة الأولى قد خفت حدتها تدريجياً سيما أن كاتي قد فعلت نوعاً من السحر بتسوية الأمر، تيقّنت أن شعرها لم يكن سيئاً للغاية. كانت كاتي على حق، ذلك أن قصة الشعر

القصيرة أبرزت عينيها الخضراوين الكبيرتين ووجنتيها.

وهتفت: «سيعتقد طلابي أنها صرعة.» وأخذت تفكر في ردة فعل طلاب اللغة الانجليزية في الثانوية عندما تستأنف عملها يوم الاثنين. «شكراً لك يا كاتي. أقدّر لك ما فعلت من أجلي على وجه السرعة.» قالت هذا بينما كانت صاحبة الشعر الأحمر تنزع عن رقبتها الغطاء البلاستيكي وهي تبتسم لها قائلة: «وما فائدة الأصدقاء إذن؟»

«اتصلي بي في الأسبوع القادم. ربما استطعنا حضور فيلم سينمائي معاً.»

هزت ايفا رأسها وغادرت صالون التجميل، بعد أن دفعت أجرة قصة الشعر.

كان الجو عبقاً بشذا أزهار الربيع، حين مشت ايفا بتكاسل نحو المكان الذي أوقفت فيه سيارتها. حيثما التفتت كانت بشائر الربيع تغريها بأن تأخذ اليوم عطلة، وتمضي إلى الحديقة العامة، لتستمتع بيقظة الأرض بعد سبات طيلة فصل الشتاء. فبوكينا البلدة الصغيرة، في أوكلاهوما، كانت، عادة، رائعة في الربيع، قبل أن تحوّل عواصف الغبار الصيفية كل شيء إلى رتابة داكنة.

تمنت ايفا لو تطيل مكوثها قليلاً، لكنها سبق ووعدت والدتها بزيارتها لتساعدها في حسب ضريبة الدخل وقد أكدت لكولين الليلة السابقة أنها ستتصل بالمحامي ليدافع عن كولين في المحكمة. إضافة إلى أن لديها كومة من الفروض الانجليزية المكدسة في المنزل لتصحيحها فهي تؤمن بشدة أن العمل يأتي بالدرجة الأولى قبل التسلية.

تنهّدت بعمق وعادت إلى سيارتها، وتوجهت نحو منزل

www.elromancia.com

والدتها، ممتنّة لأنه لم يكن بحوزتها مقص، لأنها شعرت بدافع ملح لأن تقص شعرها.

«عليّ القيام بشيء حيال حياتي الاجتماعية.» تمتمت ايفا ذلك المساء وهي جالسة على كرسي بلاستيكي في حجرة الغسيل المخصصة للشقة المزدوجة، تراقب غسيلها يدور ويدور داخل النشافة.

ليلة سبت، وها هي ذي جالسة هنا لا تفكر سوى باستعجال اكتشاف ما إذا كانت ملابسها ستحافظ على مقاساتها أم انها ستنكمش إلى مقاسات أصغر بكثير.

على الأقل لم تكن الوحيدة التي وجدت في غرفة الغسيل طريقة لتمضية ليلة السبت. فقد كانت هناك أيضاً نشافتان تدوران مما يدل على وجود شخصين آخرين في هذا المجمّع المؤلف من ست شقق. ولكن، بطريقة ما، لم يشعرها ذلك بتحسن.

غالباً ما كانت تنزعج لفقدان الحافز الاجتماعي في حياتها. فهي عادة تكون إما مشغولة جداً أو متعبة جداً لتلاحظ ذلك. لكن هناك لحظات عرضية من العزلة التي تحدث توقاً شديداً مبهماً وتعكير صفو ناجم عن الشعور بالوحدة. كانت تمر بها أوقات تتمنى فيها لو كان ثمة أحد مميز في حياتها، شاب يشاركها آمالها وأحلامها.

لمَ لا يطل عليها شاب رائع من وراء الباب المجاور؟ طبيب مثلاً، أو محام عازب يبحث عن معلمة مدرسة رصينة كزوجة له؟ أغتمّ وجهها عندما خطر ببالها جارها الجديد.

لقد أمضى فترة بعد الظهر ينقل أمتعته، بينما وقفت ايفا

عند النافذة، تراقبه، مستغربة لماذا وجدته كريهاً وخلاباً في نفس الوقت. من المؤكد أنه يضج جاذبية بالإضافة إلى طبيعته الوحشية الطليقة.

فيما هو يعمل على تفريغ الشاحنة الصغيرة الملأى بالأثاث، طرح جانباً سترته الجلدية، عارضاً كتفيه القويتين وجسمه الرياضي. لا بد أن هناك بعض النسوة اللواتي تجذبهن مظاهر رجولته الواضحة، لكنها بالتأكيد ليست واحدة منهن... ومع ذلك، فقد بقيت واقفة عند النافذة لوقت طويل غير قادرة على أن تبعد نظراتها بعيداً عنه.

قصف الرعد المفاجيء جعلها تقفز على بغتة. الظاهر أن الغيوم الواعدة التي تجمعت طيلة المساء تحولت في النهاية إلى مطر ربيعي شديد.

«اللعنة.» نهضت عن الكرسي وتوجهت نحو الباب، كان وميض البرق يتراقص عبر السماء مبدياً قوته العظيمة لتتبعه بعد ثوان فرقعة الرعد يهز الأجواء.

رائع. هذا ما تحتاجه تماماً. فزنزانة حجرة الغسيل بالنسبة إلى مستأجري الشقق كانت موحشة كفاية من دون مساوىء العاصفة. وسطع وميض برق آخر كان من القرب بحيث ظنت أنها سمعت له أزيزاً. وما لبث أن انقطع التيار الكهربائي وغرقت الغرفة في ظلام دامس... أعقبه سكوت تام.

لبرهة طويلة، وقفت ساكتة، تنتظر أن يعود التيار الكهربائي. مرت الثواني بسرعة ولم يحدث شيء حدقت نحو الخارج، لترى المنطقة المجاورة غارقة في الظلام بكاملها. تنهّدت، ثم شقت طريقها بمحاذاة صف النشافات وقد أعاق الظلام المطبق في الغرفة حركاتها.

www.elromancia.com

«إنها على الأقل، قد جفت تقريباً.» تمتمت بذلك وهي تدفع بملابسها داخل كيس الغسيل، ثم ترفعه فوق كتفها وتجري به مسرعة نحو شقتها، آملة أن يستمر وقوف سقوط المطر ريثما تصل إلى الداخل.

وصلت إلى الشرفة قبل تساقط حبيبات المطر الأولى. تلمّست المفاتيح، وفتحت الباب واندفعت إلى الداخل متعثرة. وأطلقت زفرة ارتياح عندما سمعت وقع سقوط المطر على زجاج النوافذ.

بعد دقائق، وقد أمّنت الشموع المضاءة فوق طاولتها الضوء اليسير، بدّلت ايفا ثيابها وارتدت قميص نوم مريحاً، وجلست على الأريكة لتداعب هرتها البيضاء «فلافي» التي قفزت إلى حضنها لتخرخر. سألت القطة التي أخفضت رأسها ومررته فوق معدة ايفا وهي تموء حزناً. «ماذا في الأمر، هل تخيفك العاصفة؟»

ونظرت إلى كومة أوراق الطلاب المكدسة فوق الطاولة. «يمكنها الانتظار حتى الغد.» لم تكن راغبة في أن ترهق عينيها بتصحيح أوراق الطلاب تحت ضوء الشمعة.

بينما جلست هناك، تلاعب القطة، سرحت أفكارها مرة ثانية نحو جارها الجديد. أي نوع من العمل يمتهن هذا الرجل؟ ميكانيكي؟ موظف وكالة تأمين خدمات؟ لص مسلّح؟

وابتسمت لأفكارها الخيالية. لو كان هذا حدث منذ مئتي سنة، وكانت بواكينا مدينة ساحلية، إذن لاعتقدت أن جارها الجديد هو قرصان. ذلك أنه بشعره الطويل ونظراته الوقحة، من السهل تصوره يبحر في أعالي البحار، يسلب الغنائم ويخطف قلوب النساء.

تجهمت عند الفكرة الأخيرة. الظاهر أنها أكثرت من قراءة قصص التاريخ الرومانسية. كانت رغبتها الوحيدة الخفية تتمثل في قرصان، هو فارس الأحلام، طويل الشعر ذي كبرياء وشبق. ولكن بالطبع ليس بالرجل الذي يقيّد رغباتها أو أفكارها.

دفعت الهرة بلطف بعيداً عن حضنها وانتصبت واقفة. الشيء الوحيد الذي يمكنها فعله في هذه الظلمة كان طي الغسيل. توجهت نحو كيس الغسيل وسحبت القطة الأولى خارجاً... سروال من الجينز، لم يزل رطباً قليلاً وبالتأكيد لا يخصها... «أوه، لا.» تمتمت وهي تفرغ محتويات الكيس فوق الأريكة محدّقة بها. هناك في الظلام. في غرفة الغسيل لا بد أنها أفرغت محتويات النشافة الخطأ داخل كيسها.

أخذت تدس الثياب ثانية داخل الكيس. ثم ترددت، وقد سمعت وقع صوت المطر على السطح. لن تخرج في هذه الحالة لتبديل الملابس. عليها أن تنتظر حتى يتوقف سقوط المطر أو على الأقل أن يخف قليلاً. في غضون ذلك يمكنها أن تطوي هذه الملابس. بحيث لا يضطر صاحبها أن يمرّر المكواة على كل قطعة منها.

التقطت سروال الجينز ثانية. كان سروالاً لرجل: الخصر حوالى اثنين وثلاثين... والطول حوالى أربعة وثلاثين مما يعني أن صاحبه طويل ونحيف. فكرت ملياً، وهي تشبك الملابس الرطبة من الخصر على علاّقة الثياب لتعلقها بعد ذلك على ذراع مصباح الغرفة لتجف.

لم تكن تعلم ثياب من تطوي، حتى التقطت قميصاً قطنية سوداء. لقد ارتدى هذه القميص عندما كان يفرغ حمولة

الشاحنة بعد ظهر اليوم. طوت القميص محاولة أن لا تفكر بكتفيه العريضتين اللتين كانتا تملآن كل سنتمتر من هذه القميص.

احمر وجهها خجلاً عندما التقطت زوجاً من ملابسه الداخلية. كان أكثر إثارة من أي ثوب تمتلكه ايفا.

بينما انتهت من طي ما تبقى من الملابس، أزعجتها رؤى كيف يبدو شكله وهو يرتدي هذه الملابس الداخلية غير المحتشمة. لا شك أن بطنه ضامر وصدره عامر يكسوه شعر كثيف يبعث ملمسه السرور... لا بد أن ساقيه طويلتين مفتولتي العضلات.

قفزت ايفا وأطلقت صرخة حقيرة عندما فرقع الرعد وفي نفس الوقت الذي سمعت فيه قرعاً حاداً على الباب.

أسرعت نحو الباب، مستغربة من يجرؤ على الخروج في تلك الليلة. فتحت الباب وشهقت لرؤية الرجل صاحب العينين الزرقاوين اللامعتين الذي قد استحوذ على أفكارها.

«ما الذي تريده؟» سألت ببلاهة ملتقطة أنفاسها من جراء ومض البرق حيث بدا لها وكأن الرجل قادم من عالم آخر والذي كان بالضبط تماماً بالنسبة إلى ايفا.

«أعتقد أن لديك شيئاً يخصني...»

«شيء يخصك؟»

ونظرت أيفا إليه مشدوهة ولاحظت كيف بلّل المطر شعره، مما جعل ملامحه الجريئة تبدو مفعمة بالحيوية. تماسكي يا فتاة، وبّخت بذلك نفسها وقلبها يخفق مضطرباً.

وتطلع بريس ساخراً، مما جعلها تلاحظ أنه يحمل سلة من الملابس المغسولة بيده.

«أجل، وأعتقد أن هذه الملابس لك.»

وأومأ إلى القطعة البارزة في السلة والتي كانت قطعة من ملابسها الداخلية ذات القماش القطني الأبيض. وظهر في عينيه بريق نظرة غير محتشمة مما جعل وجهها يمتقع للحظة ثم يعلوه الاحمرار.

للحظة واحدة، طائشة، أرادت أن تنكر بشدة أن هذه الملابس الداخلية العادية لها. ولسبب جنوني، أرادت أن يعتقد أنها ميّالة إلى ارتداء الملابس الداخلية المثيرة.

لكن هذا الجنون اختفى بالسرعة التي ظهر فيها.

«أوه... تفضل بالدخول...» تراجعت إلى الوراء لتفسح له المجال ليدخل إلى غرفة الجلوس، في الحال بدت الغرفة وكأنها قد تقلّصت وقد ملأها حضوره الطاغي. لقد أثّرت فيها رجولته الصارخة. في مجال عملها التعليمي، اعتادت رؤية الرجال الذين يرتدون بذلات ويضعون ربطات عنق. الرجال في عالمها، لا يرتدون سراويل الجينز الضيقة ولا القمصان القطنية التي تعرض صدورهم العامرة وعضلاتهم المفتولة. وبالطبع هم ليسوا من ذلك النوع من الرجال الذين يرتدون ثياباً داخلية ملوّنة. ومن جديد، غمرت الحرارة وجهها.

«أين تريدين وضع هذه الأشياء؟» وأومأ إلى سلة الملابس في يديه.

«آه، يمكنك طرحها هناك فوق الأريكة.» وأشارت إلى البقعة التي كانت تجلس فلافي فيها قبل أن يدفعها قرع الباب في الإسراع إلى ناحية مظلمة وآمنة في المطبخ للاختباء فيها. «كيف ـ كيف عرفت أن هذه الأشياء لي؟»

ألقى بالملابس على الأريكة، ثم استدار ينظر إليها. ورمقتها عيناه بنظرة متمهلة من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها: «كل شيء مثير للغاية، وقد أذهلني أنك من النوع المرهف الحس. بالإضافة إلى ذلك.» والتقط سترة خفيفة. «إن اسمك مدوّن على ياقة هذه السترة.»

هزت ايفا رأسها مستغربة لماذا بدا كلامه كإهانة، عندما قال إنها أذهلته لأنها امرأة مرهفة الحس.

«وما الخطأ في أن أكون مرهفة الحس؟ أعتذر لاختلاط الأمر، لقد انقطع التيار الكهربائي في غرفة الغسيل ولم أعد قادرة على الرؤية، وأظن أنني أفرغت النشافة الخطأ.»

عرفت ايفا أنها تتلعثم، ولكنها لم تستطع إيقاف نفسها عن الكلام. «كان الظلام دامساً ولم أستطع التمييز.»

«ليس هناك من مشكلة.» قال ذلك دون مبالاة وهو يساعدها في جمع ملابسه. واستدار ليغادر المكان، ولكنه توقف عند الباب الأمامي، وقد رسم ابتسامة ماكرة على فمه. «هل عرفت أن قميص نومك بدت كغلالة رقيقة تحت ضوء الشمعة؟» قال ذلك مع غمزة عين وقحة وهو يختفي بعيداً في العاصفة.

تطلعت ايفا بنفسها متأوهة عندما أدركت أنه كان محقاً. قميص نومها اللائقة كانت فاضحة تحت نور الشمعة المتماوج وراءها. كم هو فظ بالتعليق على ذلك؟ هل الرجل عديم الأخلاق كلياً؟ دون لياقة واحتشام؟ كيف سيمكنها العيش بجوار مثل هذا الرجل؟

وضع بريس ماكسويل سلة الملابس على طاولة المطبخ، ثم استلقى متكئاً على المقعد القريب من حافة النافذة المشرقة. نظر إلى العاصفة في الخارج وقد بانت ابتسامة صغيرة على ملامحه.

اندفع كلبه نحوه مُرحباً به وأخذ يدس برأسه تحت يد بريس الذي ربت عليه دون انتباه، فأفكاره ما زالت عند المرأة في الشقة المجاورة.

في اللحظة الأولى التي رآها فيها، عندما فتحت له الباب وفي يدها المقص وشعرها في حالة يرثى لها. داعبت وتراً دفيناً من التناغم داخل صدره.

عملياً كانت ترتعش توتراً، وعيناها تشعان كبتاً واحباطاً. لقد نظرت إليه وكأنه مخلوق قادم من البحيرة السوداء. ولكن، خلف هذا الفضول، وبالرغم من المقت الشديد الواضح، أحس بريس بسحر تفاعل اكسير الحب.

آنسة ايفا وينتروب... صاحب المنزل لديه معلومات كاملة عن جارة بريس. معلمة ملتزمة، ابنة مخلصة، وأخت معيلة... ركيزة في المجتمع. «تلك المرأة سيدة لائقة، من الطراز القديم.» هذا ما قاله السيد وليامس.

لكن ما رآه بريس كان مختلفاً جداً.

حواء... مرتكبة الخطيئة الأولى. والدة الجنس البشري بعينين خضراوين كعشب الأرض وشفتين حمراوين كالحياة. بإمكان ايفا وينتروب أن تجعل الرجل يفكر بالخطيئة.

نهض بريس عن المقعد وتوجّه إلى النافذة يتبعه كلبه.

كان قلقاً عندما قرر قبول منصب مدير للثانوية في البلدة الصغيرة.

هو ابن مدينة نيويورك، التي ولد وترعرع فيها كان انتقاله إلى البلدة الصغيرة في أوكلاهوما صدمة ثقافية من نواحٍ مختلفة. ايفا... وفكر فيها مجدداً، متسائلاً عمّا إذا كانت فعلاً تدرّس في الثانوية. كيف ستكون ردة فعلها لتقبل به ليس جاراً فحسب، بل كرئيس لها أيضاً؟

وابتسم. كان يتساءل عما إذا كان سيتمكن من تحمل العيش في بلدة ريفية صغيرة. كان خائفاً أن يضنيه الضجر والملل. لكن لديه شعوراً، أن جارة مثل ايفا ستجعل الضجر في أدنى اهتماماته وقد تحركت فيه في اللحظة ذاتها بواعث الرغبة.

الفصل الثاني

قالت مارغي كيلر، معلمة الفنون، عندما التقت ايفا صباح نهار الاثنين عند الباب الأمامي لثانوية جفري ورثنغتن: «ألم تريه بعد؟»

«رأيت من؟» سألتها ايفا بفضول وهي تنقل من يد لأخرى رزمة الفروض المدرسية التي تحملها.

«بريس ماكسويل، ذلك الذي...» وأخفضت مارغي صوتها عندما مرّت معلمة الرياضة دواين هيلتون قربهما محيية بابتسامة.

«المدير الجديد؟ كيف لي أن أراه؟ لقد وصلت للتو!» قالت ايفا ذلك مستغربة وهي تتجه نحو غرفة صفها.

تبعتها مارغي وجلست على حافة الطاولة «انتظري حتى تريه، إنه يستحق ذلك. فهو لا يشبه أي مدير مدرسة رأيته من قبل. عيناه الزرقاوان الأكثر روعة، كذلك شعره الأسود الطويل.»

فتمتمت ايفا وهي تشعر بالخوف: «ويرتدي سراويل ثمينة ملوّنة.»

فنظرت مارغي إليها بدهشة. «عفواً؟»

«آه، لا تحفلي بذلك.» أجابتها ايفا وقد تورّد وجهها خجلاً. من المؤكد أنها تسرعت في حكمها. لا قطعاً! لن تستخدم إيرين ورثنغتن رجلاً مثل جارها الجديد مديراً للثانوية.

www.elromancia.com

«على أية حال لو لم أكن متزوجة لأمسكت بتلابيب بريس ماكسويل على الفور.» ومدّت يدها ولفّت جديلة من شعرها الأشقر اللامع، وهي تبتسم بأسف، وكأن فكرة إمساك تلابيب الرجل من الصعب التخلي عنها. ثم تنهدت وهي تغادر مسرعة. «حسناً من الأفضل أن أنظم الأمور في غرفة الصف. لدى طلابي حصة عمل حرّ هذا اليوم. لا يمكن التحدث عن الأشكال الكريهة التي سيتدبرون اكتشافها بالأوراق التي لديهم.» وتوقفت عند الباب. «على فكرة، أعجبتني تسريحة شعرك الجديدة.» وما لبثت أن اختفت في الرواق وقد لوّحت لها بيدها مودّعة.

أمضت ايفا الدقائق الخمس التالية تعد نفسها لعمل اليوم وتحاول جاهدة أن تهدىء خفقان قلبها المتزايد منذ اللحظة التي وصفت فيها مارغي المدير الجديد. الأمر مدعاة للسخرية. أليس كذلك؟ لتفترض أن يكون بريس ماكسويل وجارها الجديد هما الرجل نفسه، علاوة على ذلك فهي تعرف أن الأمر ليس تافهاً لهذا الحد. في الواقع إنه افتراض معقول عليها احتمال وقوعه.

بواكينا بلدة صغيرة جداً ولا يوجد فيها رجال ذوو عيون زرقاء وشعر أسود طويل، يلفتون النظر باستثناء الرجل الذي انتقل حديثاً للسكنى بجوارها.

«ما الخطب إذا؟» سألت نفسها وهي تبري أقلام الرصاص التي ستحتاجها لهذا اليوم. ماذا يغيرها لو ان جارها الجديد هو بريس ماكسويل، المدير الجديد؟

لكن الأمر يضيرها فعلاً. هناك بعض الأمور حول الرجل الذي أزعجها بطريقة غريبة واستفزازية. أن تعيش بجواره

شيء، وأن تعمل معه بشكل يومي شيء آخر تماماً.

«أيها الأساتذة. نرجو الانتباه...» دوّى صوت آن كومبتن سكرتيرة المدرسة من خلال مكبّر الصوت وقد ملأ أرجاء الغرفة. «هناك اجتماع مختصر في القاعة بعد ربع ساعة. الحضور إلزامي.»

بعد دقائق قليلة، بينما كانت ايفا تشق طريقها نحو قاعة الأساتذة مشت مارغي إلى جانبها قائلة: «لا أستطيع الانتظار لأرى ردة فعلك عندما ترينه.» ثم قهقهت بشكل مثير. «لا أستطيع الانتظار لرؤية وجه السيدة ورثنغتن.»

«ألم تقابله بعد؟» وعادت تسأل عابسة إذ هزت مارغي رأسها نفياً. «إذن، كيف استخدمته؟»

«أنت تعرفين السيدة ورثنغتن. إنها لم تشأ أن تصعّب الأمر عليه بأن ترسل في طلبه لإجراء مقابلة معه أولاً. لذا استخدمته دون أن تراه. لقد أخبرتني آن بأن الرجل لديه سجل مؤثر والسيدة ورثنغتن تعرف عائلته وهم أسرة بارزة في نيويورك.» قهقهت مارغي ثانية. «لكن لدي شعور مسبق أن بريس ماكسويل ليس تماماً كما يتراءى للسيدة ورثنغتن.»

بالرغم من أن ايفا كانت تتوقع ذلك تقريباً، فالأمر ما زال صدمة لها عندما دخلت القاعة ورأته واقفاً هناك. كان متكئاً إلى جانب ماكينة الكولا، غارقاً في محادثة مع جف باركر مستشار المدرسة.

همست مارغي وهي تدفع ايفا بمرفقها: «أخبريني، ألا يبدو رجلاً متميزاً؟»

آه، حسناً، إنه مميز، لكنها لم تكن متأكدة من أية ناحية.

لقد نزع عنه لباس الدراجة النارية، مرتدياً سترة ملوّنة فوق سروال رمادي اللون خارقاً بذلك التقليد المتّبع. وفوق ذلك، كانت أزرار قميصه الأبيض مفككة عند عنقه الخالي من ربطة عنق... لم يكن شعره منظماً بل كان مشدوداً إلى الخلف برباط مطاطي. الشيء الذي كان أكثر تعبيراً عن طبيعة الرجل المتفردة، هو انتعاله حذاء جلدياً من دون جوارب. سابقة مستهجنة في بواكينا، فما من رجل انتعل حذاء مزخرفاً بدون جوارب من قبل.

المثير جداً في الأمر، كان تحمّله نظرة الاستهجان بغير اكتراث، متجاهلاً أن كل شخص في القاعة كان يحدق به وكأنه قد سقط لتوه من الفضاء.

في تلك اللحظة، تشابكت نظراتهما. فقد لمحها، وتراقص بريق شيطاني، تصحبه شرارة ساخرة، في أعماق عينيه الزرقاوين بينما ارتسمت ابتسامة على فمه. ابتسامة حميمة تقول إنه يعرف أي نوع ترتديه من الملابس المثيرة.

شعرت ايفا بلهيب في جوفها الذي سرعان ما انتشر ليغمر أنحاء جسمها كله. قاومت حافزاً جنونياً في أن تستدير وتولي هاربة عندما رأته يستأذن جف معتذراً ليقترب منها، وما زالت ابتسامة «الشقاوة» مرتسمة على شفتيه.

«مرحباً، ايفا.» قال ذلك بلهجة جعلت وقع اسمها يبدو غريباً ومثيراً في آن معاً.

ارتفاع حاجبي مارغي الشقراوين فوق جبينها اعجاباً لم تلحظه ايفا كفاية وهي ترد التحية للسيد ماكسويل بانقباض.

«يبدو شعرك رائعاً.» قال ملاحظاً، وقد احتوت ابتسامته على دعابة مبطنة.

«من مهام أخصائية التجميل معالجة مشاكل مفرمة اللحم.» ومرت بيدها فوق شعرها القصير وهي تضيف معاتبة وقد فشلت في إخفاء غيظها: «كان بمقدورك أن تعرفني بنفسك.»

«أظن أنه لم يخطر ببالي ذلك عندما كنا نتبادل الملابس في تلك الأمسية.»

«سأشرح لك ذلك.» قالت ايفا ذلك بسرعة، لصديقتها مارغي، التي شهقت دهشة، وهي تحدق النظر في بريس، الذي سره فقدانها لرباطة جأشها. ابتسم ببراءة، غير حافلٍ بأنه قد زوّد طاحونة الإشاعات بمؤونة تكفي لمدة شهر وقبل أن تتاح له فرصة أخرى ليلحق بها ضرراً أكبر، لفّ المكان صمت مطبق عندما دخلت القاعة سيدة مسنّة. فقد وصلت السيدة ورثنغتن.

كان دخول المرأة العجوز مهيباً. وجالت نظرات عينيها السوداوين في أرجاء القاعة متفحصة. وعندما وقع نظرها على بريس، سقط عنها قناع مودّتها الاجتماعية ليحل مكانه نظرة من السخط التام، سرعان ما عادت عنها لتضع قناع المودة الاجتماعية ثانية على وجهها عندما اقتربت منه.

«ايفا... ماغي...» قالت محيّية المرأتين بإيماءة متغطرسة: «لا بد أنك بريس ماكسويل، أردت الحضور هذا الصباح لرؤيتك والترحيب بك.» ومدت يدها إليه مصافحة وهي تقول: «أرغب في التحدث إليك لاحقاً اليوم.

www.elromancia.com

أعتقد أنه من المهم أن تعرف مباديء وأهداف هيئة المدرسة بأسرع وقت ممكن.»

«أفلت بريس يدها. ولاحظت ايفا غياب البريق المؤثر في عينيه. فابتسامته نحو السيدة ورثنغتن كانت لطيفة غير انها لم تكن ودّية عندما قال لها: «أخشى أن اللقاء مستحيل اليوم، حيث أنه اليوم الأول لي هنا ولا يسعني الدخول في مناقشات فلسفية من أي نوع كانت. ربما نستطيع أن نلتقي في صباح الغد.» وابتسم بلطف مرة ثانية قائلاً: «أرجو معذرتي الآن فمن الأفضل أن أذهب لأعد نفسي لهذا اللقاء.»

رأت ايفا نظرات العداوة تشع من عيني السيدة ورثنغتن وقد تجعدت شفتها العليا قليلاً من شدة غضبها.

وأطلقت مارغي صيحة إعجاب خافتة بعدما ابتعدت عنهما السيدة ورثنغتن يصحبها بريس إلى مدخل القاعة. لتقول: «أعتقد أن السيد ماكسويل لن يكون واحداً من حاشية السيدة ورثنغتن.»

«لن يستطيع الصمود لشهر واحد.» أطلقت ايفا نبوءتها، وهي تشعر بالارتياح لهذه الفكرة.

مرت دقائق، لم تكن متأكدة مما حدث تماماً. عندما عرّف بريس بنفسه أمام موظفيه الجدد من الأساتذة وهو يتحدث إليهم عن تصوراته لما تبقى من العام الدراسي الحالي وما يصبو إليه في السنة القادمة، وقد اجتاحتهم موجة عارمة من الإثارة.

بالرغم من شكوك ايفا الشخصية حياله، لم يكن بإمكانها إلا أن تتجاوب مع التحدي الذي أحدثه في كل فرد منهم في

أن يكونوا الأفضل، بتكريس أنفسهم لمهمة التدريس وإعداد الناشئة من سكان بلدة بواكينا. تحدّث عن الالتزام بالتعهدات. كلماته ذكرت ايفا بالأسباب جميعها التي دفعتها إلى اختيار التدريس مهنة لها لسنوات خلت.

«أشعر بقدوم التغيير.» علّقت مارغي لاحقاً، بينما كانت هي وايفا عائدتان إلى صفيهما.

وردت عليها ايفا بجفاء: «من المحتمل أن ما حدث اليوم تمهيد لذلك.»

فرمتها مارغي بنظرة ماكرة. «لم أنس بعد الملاحظة الصغيرة حول تبادل الملابس بينك وبين المدير الجديد. وأنا في غاية الشوق لسماع تفسيراتك. ما رأيك في الذهاب لتناول فنجان قهوة فور انتهاء الدروس، لتفضي إليّ بهذه القصة الغريبة؟»

قالت ايفا محتجة: «ليس هناك من قصة غريبة أفضي بها إليك، كما أنني لا أستطيع الذهاب لتناول القهوة بعد ظهر اليوم. لقد دعتنا الوالدة أنا وكولين لتناول العشاء عندها هذا المساء. وهذا يعني أنه علي الوصول إلى هناك باكراً لإعداد الطعام الذي ستقدمه لنا والدتي.»

«لن أفرج عنك بسهولة. عاجلاً أم آجلاً عليك أن تشرحي لي ما حدث بينك وبين بريس ماكسويل.»

«لا شيء البتة... لم يحدث بيننا شيء.» واحمر وجه ايفا وقد شعرت أن وتيرة حدة صوتها قد ارتفعت احتجاجاً. فآخر ما كانت تتمناه كان ترك انطباع لدى مارغي عن علاقة بينها وبين بريس، فقد كانت مارغي من النوع الذي لا يكتم سراً، فأي شيء يقال لها ستنشره عاجلاً أم آجلاً.

الذهاب إلى مخزن البقالة أكثر من مرة في الأسبوع، ألا يمكنك أخذي لتناول الطعام خارجاً؟»

ويستمر الحال على هذا المنوال، فطنين ملكة النحل في سرد رغباتها سيؤدي في النهاية إلى تحقيق تلك الرغبات.

وصلت كولين وأكملت لائحة الطلبات، مكبدة شقيقتها ايفا ليس فقط إقراضها مبلغ خمسين دولاراً، بل استعارة سيارتها لليومين القادمين، وهي تقول موضحة: «أخبرتني السيدة ورثنغتن بأن لدي العديد من المهام أقوم بها هذا الأسبوع وأنت تعلمين أنني لا يمكنني استعمال سيارتي إذ لن أستطيع تحمل مخالفة أخرى ولا أرغب بفقدان هذه الوظيفة.»

لم تشأ ايفا أن تفقد كولين وظيفتها. مواجهة الخيار بين السير مسافة لا يستهان بها من المدرسة وإليها لليومين التاليين مُساعدة كولين بذلك أو أن تدعها تفقد وظيفتها ثانية. لذا فقد اختارت ايفا السير مشياً على الأقدام.

الشيء الوحيد الجيد في تلك الليلة كان ما أفاضت به كولين من الإشاعات التي خصت بها السيدة ورثنغتن حيال ردة فعلها تجاه بريس ماكسويل. قالت كولين مقهقهة: «لقد كانت مرتعبة. كانت تعرف أنه سيكون شخصاً غير عادي. كانت تعرف أنه قد اتبع طرقاً غير مألوفة في المدرسة حيث كان يعمل في نيويورك. لكنها لم تكن تتوقع منه كل هذا... فهي تقول إنه لا ينتمي قطعاً إلى آل ماكسويل الذين تعرفهم. فهو إما ولدهم بالتبني، وإما شخص غريب الأطوار.»

تجهمت ايفا لسماعها هذا، وشعرت أن بعضاً من توترها قد انحسر. أجل يمكنها تصور كيف تفكر السيدة ورثنغتن

«آه، على الإسراع!» هتفت ايفا بذلك عندما قُرع الجرس وسرعان ما بدأت الأروقة تغص بالطلاب. طرحت ايفا كل الأفكار حول بريس ماكسويل جانباً وهي تحيي طلابها للحصة الأولى.

مشت ايفا على الرصيف مسرعة، آملة أن تتخلص، بسرعة، من الإثارة التي تملكت نفسها.

بانت حمرة الأفق عند المغيب وقد صبغت بلونها الذهبي الشارع الرئيسي الذي بدا أقل توهجاً مما كان عليه عند شمس الظهيرة. رغم ذلك لم يستطع ذلك الضياء الرقيق أن يزيل الكآبة المتفاقمة في نفس ايفا.

بدا لها أنها كلّما سارعت إلى تلبية طلبات والدتها وأختها كلما ازدادت متطلباتهم. لم تعد تذكر تماماً متى بدأ ذلك... متى انتقلت الأدوار وأصبحت ايفا المعيلة لهما. لقد بدا مؤخراً أنها قد هدرت الكثير الكثير من طاقتها ووقتها للعناية بوالدتها وأختها كولين. مرت أوقات شعرت فيها بالاختناق من جراء تحمل المسؤولية وكثرة المطالب. والليلة كانت واحدة من تلك المرات بالتأكيد.

ووصلت إلى منزل والدتها في الوقت المناسب لتساعدها في وضع الطعام على المائدة، ورافق عملها هذا سيل من الشكاوى أغرقتها فيه والدتها.

كانت فيولت وينتروب امرأة صغيرة الجسم تبلغ الستين من العمر، عيناها زرقاوان كبيرتان وتلفها هالة من العجز لم تخطىء أبداً في تحريك مشاعر الذنب لدى ايفا.

«إنني وحيدة ومع هذا لا تأتين لرؤيتي إلا نادراً.. أريد

بأن بريس رجل غريب الأطوار ينتمي إلى فئة غريبة شاذة. بواكينا مدينة الشاحنات والفتيان البسطاء الطيبين.. لا شك أن رجلاً مثل بريس ماكسويل، ودراجته الزاهية الألوان، ونظراته الجريئة. كان، قطعاً، خارج ما يألفون.

تنهدت بارتياح وقد أصبحت على مقربة من بيتها الذي كانت متلهفة للوصول إليه لإنجاز بعض الأعمال. ولكن سرعان ما توقفت فجأة عندما وصلت إلى نهاية الدرب ومضت تنظر غير مصدقة عينيها...

كان كلباً مرابضاً عند مدخل الرواق... كلباً من أبشع الكلاب التي رأتها ايفا على الاطلاق. كان رأسه ضخماً، يتناسب مع ضخامة جسمه القوي القصير وتنقصه نصف أذن وأكثر من خصلة من وبره الأسود. لقد بدا هذا الكلب وكأنه قد شارك في معارك كثيرة وخسر معظمها.

لقد جلس الحيوان مباشرة عند مدخل الباب مما جعل الدخول أمراً مستحيلاً.

مشت نحوه بحذر وتوقفت عندما هرّ مهدداً. أمرته بالانصراف بعيداً وهي تلوّح بيدها لتخيفه. لكنه لم يخف، ولم يجفل لذلك. بل حدّق فيها بعينين شيطانيتين ازداد هريره.

نهرته، وهي تنظر إليه بغضب. وتساءلت لماذا اختار شرفتها من بين شرفات المدينة كلها ليجلس عند المدخل خفيراً؟ كل ما أرادت فعله هو أن تدخل المنزل وتعد لنفسها كوباً من الشاي الساخن وتستريح من عناء اليوم. وما أثار سخطها هو أن يكون العائق الوحيد وراء تحقيق رغباتها كلب كريه بنصف أذن.

كيف يمكن تدبر أمر إزاحة كلب عن مكان لا يرغب في

مغادرته؟ لم يكن لدى ايفا مفتاح لحل هذا اللغز، خاصة وقد بدا الكلب وكأنه يجلس متعمداً قبالة دار صاحبه بينما الواقع أنه دارها.

«عد إلى دارك.» صرخت به وقد ارتفعت درجة احباطها «إرحل بعيداً!»

في هذه اللحظة، فُتح الباب المجاور وأطلّ بريس منادياً كلبه: «دوغ.»

«شكراً لك، يا سيد ماكسويل على مناداتك للكلب باسمه، ولكن، أريد أن أعرف صاحبه.» بدا صوت ايفا ساخراً وهي تصب على أول شخص تصادفه كل الضيق الجاثم فوق صدرها.

«هذا الكلب يخصني واسمه «دوغ».» قال بريس ذلك وقد أصبح خارج الباب حاملاً معه رائحة الصابون المعطّر بالنعناع ورائحة شامبو الاغتسال. كان من دون قميص وقد بدا جذعه بعضلات مشدودة وصدر يكسوه شعر أسود كثيف، وقد ارتدى فقط سروالاً من الجينز ملتصقاً بردفيه وكأنه رام قد شهر مسدسه استعداداً للمبارزة.

للحظة، نسيت ايفا السبب وراء وقوفها هناك. متاعب العائلة والكلب الذي أبقاها خارج الدار، كل ذلك غاب من ذهنها للتو. لتمتلكها رغبة جامحة في تلمّس ذلك الصدر العريض. فبشرته بدت ناعمة للغاية ولكنها كانت تدرك أن تحت هذه البشرة عضلات قوية. حاولت أن تتخيل كيف يكون شعورها وهي تعبث بأصابعها فوق شعر صدره الذي بدا وكأنه يشبه رسم قلب وتساءلت كيف يكون شعورها لو أنه يضمها بذراعيه القويتين نحو صدره.

«ايفا؟» أعادها صوته إلى الواقع. علا وجهها الاحمرار غضباً لبقاء ذلك الكلب القبيح جالساً عند عتبة الباب، بل أكثر غضباً من رؤية جلده العاري وقد أحدث عندها تلك الرؤى المجنونة التي لا يمكن تحديدها. ما الذي أصابها؟ هل اقتطعت كاتي بعضاً من دماغها عندما قصت لها شعرها؟

«هذا الكلب يجب أن يقيّد برسن، إنه يبدو كريهاً.»

«إنه ليس كريهاً، بل قد أسيء فهمه.» قال بريس ذلك وهو يصفّر بنعومة، قفز لدى سماعها الكلب في الحال متوجهاً نحوه، وقد كشّر عن أنيابه لايفا. تلك التكشيرة كسرت جدار الصبر الذي كانت ايفا تحاول الوقوف وراءه بيأس.

«سيد ماكسويل، من المستحسن إبقاء كلبك في المستقبل بعيداً عن مدخل داري. لقد وقفتُ هنا خمس عشرة دقيقة محاولة إزاحته بعيداً ليتسنى لي الدخول.»

«أعتذر منك. لقد كنت أغتسل ونسيت أنني تركته في الخارج.» قال ذلك مبتسماً وقد حوّلت ابتسامته الشيطانية زوايا شفتيه ببراعة لتظهر غمازتيه.

شعرت ايفا بتصاعد قلقها وقد لحظت قطرات الماء الصغيرة ملتصقة بجسمه، كارهة أن تغادره.

أخذت عقدة عند فكها الأسفل تنبض بشدة، بينما شدت على يديها محاولة عدم الوصول إليه ولمسه.

«هل أنت دائماً هكذا مشدودة ومتوترة؟»

«معذرة؟» قالت ذلك متسائلة. لماذا يقول هذا الرجل دائماً شيئاً يفقدها تماماً توازنها؟

«كل مرة أراك فيها، تبدين مضطربة. فكك مشدود وأراهن بأن عضلات رقبتك على وشك الانفجار.» قال ذلك

وقد علت الابتسامة وجهه ثانية: «أنا أجيد التدليك. قليل من الزيت المرطب، وهاتان اليدان، وستشعرين بالارتياح التام.»

فأجابت وهي تدخل عتبة بابها: «لا، شكراً لك أحب عضلات عنقي الصارخة بالشكل التي هي عليه.»

«لقد وجدت دائماً أن الحب طريقة جيدة للتخلص من التوتر.»

حدّقت ايفا فيه للحظة، غير متأكدة ما إذا كان ما قاله مجرد تعليق تافه، أم انه يعني شيئاً من الدعوة إلى ذلك.

ولكنها ردت بخفة: «إنني متأكدة من أنك لا تعاني صعوبة في إيجاد شركاء لهذا النوع الخاص من معالجة التوتر.»

«في الواقع، إني أختار من يشاركني التخلص من التوتر.» وفقدت ابتسامته بعضاً من غوايتها وهو يتابع: «أعتقد أن الأمر سيكون لطيفاً إذا لم تكوني متشنجة هكذا.»

«وأعتقد أن الأمر سيكون لطيفاً لو لم تقل ذلك صراحة.» وعضّت ايفا على شفتها، لتبقي على ما كانت تحب أن تقوله له. لقد أرادت أن تخبره أنه يخالف العرف الاجتماعي بخروجه عاري الصدر. أرادت أن تلومه لأن بريق عينيه الواعد بالملذات من الصعب تحمّله وأنه يعتبر خطيئة. لكنها، بالطبع، لم تقل شيئاً من هذا القبيل. وعلى أية حال، فهي مضطرة لأن تعمل معه. فلا يمكنها أن تُبعد نفسها كلية عنه لذا فقد عضت على لسانها، وهزت رأسها وأدخلت المفتاح في قفل الباب.

«آمل أن لا تتحولي يوماً إلى واحدة من أولئك السيدات المسنّات...» قال ذلك مقترحاً وقد تلاشى صوته. توقفت ايفا

www.elromancia.com

في مكانها واستدارت لتنظر إليه قائلة بفضول: «أية سيدات مسنّات؟»

آه، أنت تعرفين، واحدة من تلك النساء القاسيات اللواتي لا يبتسمن على الإطلاق ولا يمكن لأحد أن يعيش معهن. سينتهي بهن المطاف ببياض شعرهن وبتربية العديد من القطط.

للحظة، قررت أن لا تعيره اهتماماً بالرد عليه وإن كانت تحتقن غيظاً، ودفعت الباب بقوة لتفتحه. لكن ما أن همّت بالدخول حتى جرت فلافي إلى الخارج. حيث لم يكن التوقيت التي خرجت فيه الهرة أكثر ملاءمة من ذلك.

دفع بريس برأسه إلى الوراء ضاحكاً وهو يقول: «يا إلَهي، أنت في منتصف الطريق إلى ذلك.»

قبل أن تتمكن ايفا من الرد عليه بجواب مفحم، بدت وكأن جهنم قد فتحت أبوابها. فقد قفز دوغ من الشرفة وهو يهرّ من الإثارة سعياً وراء فلافي. صاح بريس ولحق به وتبعته ايفا موقنة من أن قطتها الحلوة سيلتهمها الوحش الأثيم في أية لحظة بعد أن يكون قد قطّعها إرباً إربا.

استمرت المطاردة وقد قطعت ثلاثة مبانٍ. الرجل يجري وراء الكلب، والكلب يجري وراء القطة، وايفا تحاول جاهدة اللحاق بهم. ولم تستطع إخفاء إعجابها بالطريقة التي كان بريس يجري بها. وقد لحظت كيف أطبق سرواله الجينز باحكام على ردفيه الحسنتي التكوين. تباً لهذا الرجل، على أية حال، فكرت وهي تلهث للحاق بهم، لماذا لا يرتدي سروالاً من قماش البوليستر؟ واعتقدت أن هذا أيضاً لن يجدي نفعاً. كان لديها شعور بأن بريس ماكسويل كان

الرجل الوحيد في العالم أجمع الذي سيبدو جذاباً حتى ولو ارتدى ثياباً من قماش البوليستر.

انتهت المطاردة بشكل مفاجيء عندما وجدت فلافي نفسها وقد حُشرت في زاوية عند سياج حديدي. نباح دوغ كان قوياً، وقد تقوس ظهر فلامي استنفاراً.

قبل أن يتسنى لبريس أو ايفا التدخل. تقدم دوغ إلى الأمام. رمته فلافي بضربة من مخلبها أصابت فيها خطمه. عوى دوغ دهشاً وقد تدفق الدم في الحال من نهاية أنفه، واستغلت فلافي دهشة الكلب، تدفعها غريزة المكر والدهاء، للهرب والقفز فوق السياج والاختفاء وراء أجمة كبيرة.

تحرك دوغ ليقف إلى جانب بريس وهو يمرر يده بذهول على أنفه المدمى. ونظر بريس إلى ايفا بدهشة ليقول مستغرباً: «وتعتقدين أن كلبي كان شريراً! إن قطتك هي جهنم الحمراء!»

فردت عليه وهي تمر بيدها فوق شعرها القصير بارتباك: «الأمر كله بسبب غلطة كلبك.»

«هل تريدين مني أن أذهب لأجدها لك؟» سألها بريس مشيراً نحو الأجمة حيث لجأت فلافي.

هزت ايفا رأسها قائلة: «ستعود لاحقاً إلى المنزل عندما تعرف أن الحيوان المفترس قد أقفل عليه جيداً الليلة.»

عادا مشياً إلى الشقة المزدوجة. والكلب المقهور يمشي وراءهما. تنفس بريس متأوهاً: «إنه أول جري جيد لي منذ شهر، عندما جريت فاراً من وجه طالبين.»

نظرت ايفا إليه بفضول. «أنت تفر من وجه طلابك؟»

«فقط إذا كانوا غاضبين مني وكانوا أكثر من ثلاثة.»

«ما نوع المدرسة التي كنت تعمل فيها؟»

«إنها مدرسة ثانوية في بروكلين.» أجابها وكأن ذلك كان يفسر كل شيء.

«لماذا قررت المجيء إلى هنا؟»

«كنت على استعداد للتغيير، لتحدٍ جديد.» قال ذلك وقد غابت من عينيه نظرة الاستمتاع ليحل مكانها بريق الذكاء. عرفت ايفا أنه نابع ليس من الكتب فقط بل من الحياة أيضاً.

أجل، بدا أنه رجل يعشق المغامرة ويستمتع بالحياة المحفوفة بالمخاطر. بدا وكأنه رجل يستمتع بجميع الأشياء التي تجدها هي مخيفة.

فعلقت ايفا قائلة وهما يجتازان المدخل الأمامي للمبنى: «لا أستطيع أن أتصور أي نوع من التحدي يمكنك إيجاده هنا في بواكينا، لكنني متأكدة أنك ستجد التغيير بعيداً عن مدينة نيويورك.»

وتراقص بريق عينيه ثانية ليقول لها: «آه، صدقيني أجد نفسي في مواجهة تحدٍ أنا بغاية الشوق لملاحقته.»

علا وجه ايفا الاحمرار وقد أحست بالغريزة، أنه لا يتحدث بذلك عن العمل. في الواقع كان لديها الانطباع الواضح أنه يتحدث عنها. حسناً، ستكون دهشته كبيرة جداً. ذلك أن آخر شيء يمكن أن تفعله هو أن تتقاسم الفراش مع رجل طويل الشعر من المدينة والذي يبدو محتملاً أنه سيقصى عن وظيفته في غضون شهر.

وتمتمت قائلة وهي تختفي بسرعة داخل شقتها: «طاب مساؤك يا سيد ماكسويل.»

بعد رحيلها، وأريج عطرها ما زال منتشراً حوله، جلس

بريس عند الشرفة الأمامية. وهو يمرر يده بدون انتباه فوق أذن الكلب المشرومة بينما سرحت أفكاره في جارته المغرية.

ايفا وينتروت... أجل لقد رآها كتحدٍ له. تورّد وجنتيها سَحَرَهُ وشجّعهُ ليقول لها كلاماً جريئاً فقط ليجعل اللون القرمزي يزحف ثانية فوق وجنتيها. لقد مضى وقت طويل منذ أن استحوذت امرأة على اهتمامه، لتجعله يتذكر أن هناك أموراً أخرى إلى جانب العمل.

هناك شيء ما جذبه إلى ايفا. لديه شعور داخلي عميق بأن روحيهما من طبيعة واحدة. وتكمن المشكلة في أن ايفا لم تبد على صلة بروحها.

لقد رآها يومياً في الأيام الثلاثة الماضية وكم تمنى أن يراها تبتسم أو يسمعها تضحك. لقد أراد ذلك من كل قلبه، أراد أن يرى فمها المثير يفتر عن ابتسامة عريضة له وحده فقط.

«ما تحتاجه ايفا هو أن تتعلم كيف تستمتع بالحياة.» فكر بريس بذلك وقد ابتسم ابتسامة صغيرة. «وأعتقد أنني الرجل المناسب لهذه الوظيفة.» وعوى دوغ وقد مرّر سيده يده فوق أنفه المدمى.

«ما رأيك يا دوغ؟» سأله بريس معاوداً الفرك وراء أذنه. «هل أحظى بفرصة مع هذه السيدة؟ أم أنني أجازف بأن يدمى أنفي أنا أيضاً؟»

ولم يجبه دوغ بشيء.

الفصل الثالث

كان هواء الصباح الباكر بارداً وذا رائحة مميزة عندما غادرت ايفا منزلها متوجهة إلى المدرسة سيراً على الأقدام. إنه الصباح الأول الذي تخرج فيه دون سيارتها، وقد شعرت في الحال بالندم لاعارتها السيارة إلى كولين. كان عليها أن تستيقظ باكراً قبل نصف ساعة من موعدها المعتاد حتى يتسنى لها الوقت الكافي للوصول مشياً إلى المدرسة.

كانت قد قطعت مسافة قليلة عندما تناهى إلى مسمعها هدير دراجة نارية قادمة من ورائها. واستدارت لترى بريس يتوقف بمحاذاتها راكباً آلته الجهنمية. وأشرق وجهه بإبتسامة تحاكي إشراقة خوذته الفضية.

«أين سيارتك؟».

فأجابت ايفا وهي تصيح ليسمعها وقد طغى صوتها على هدير الدراجة النارية: «أعرتها لأختي لمدة يومين.»

«اصعدي معي، سأوصلك إلى المدرسة.» وأومأ إلى المقعد الخلفي وإلى الخوذة المدلاة إلى جانبه.

«لا، شكراً، سوف أمشي.»

ومضت عيناه بنيران التحدي. «ما الأمر يا ايفا؟ هل أنت خائفة؟»

«بالطبع لا، لست خائفة.» ورغم الواقع الذي تعرفه جيداً لم يسعها إلا مواجهة التحدي.

«إذاً، اركبي معي.» وابتسم ثانيةً وتساءلت ايفا إذا كانت

تلك الإبتسامة من الطينة ذاتها التي استعملتها الأفعى عندما أغوت حواء الأم لتأكل من الفاكهة المحرّمة.

حدقت ايفا في الخوذة وكأنها عنكبوت مخيف. لقد كذبت عندما قالت انها غير خائفة. لم تركب دراجة نارية من قبل وفكرة ركوب الدراجة أرعبتها. ولكن كان ثمة ما هو أكبر بكثير من الخوف الذي جعلها تتردد. ماذا لو رآها أحد بصحبته؟ أي ضرر قد يصيبها وينال من سمعتها؟

وقال بلطف: «المدرسة لم تعد بعيدة من هنا.» وبالرغم من تعلقها، امتدت يداها تلقائياً لتمسك بالخوذة، وتضعها على رأسها قبل أن تعاودها فكرة التعقل مجدداً، غير واثقة من القوى التي دفعتها إلى التجاوب في قبول التحدي.

أنهت إحكام رباط الخوذة تحت ذقنها، وعاينت المساحة الصغيرة للمقعد الخلفي. كيف يتسنى لها الجلوس على تلك المساحة الصغيرة دون أن تلمسه؟ بدا الأمر فجأة بغاية الأهمية ان لا يحدث اتصال جسماني معه. لقد كان باهر الرجولة...!

«عجباً؟» وتطلع نحوها منتظراً.

فقالت متذمرة: «حسناً، حسناً...» بينما كانت ساقها تتأرجح فوق الدراجة لتثبت نفسها فوق المقعد بحذر شديد. وعلى الفور، أيقنت أن إمالةً قليلة فوق المقعد الجلدي الصغير يجعل من المستحيل عليها ان تمنع نفسها من الانزلاق بشدة نحو ظهره.

تماسكت بقدر الامكان رافضة أن تستسلم للرغبة في إذابة نفسها في دفء جسمه.

وسألها وقد أدار رأسه ليمنحها ابتسامة تشجيعية: «هل أنت جاهزة؟»

هزت رأسها، وقد منعها الذعر من أن تتكلم. ما الذي تفعله؟ لم تجلس على دراجة نارية في حياتها من قبل. ماذا لو رآها طلابها؟ ماذا لو رأتها السيدة ورثنغتن؟

«من الأفضل لك أن تتمسكي جيداً.»

«أتمسك بماذا؟» تساءلت إذ لم يكن هناك أربطة ملائمة أو مقابض للتعلق بها. لم يكن هناك سوى بريس ولم تكن راغبة، في أن تمسك به وأجابته وقد منحته ابتسامة الثقة التي يحظى بها الفائز بالجائزة الأكاديمية. «إنني على ما يرام.»

وبمجرد ان أدار المحرك وزاد من سرعة دورانه حتى انقبض قلب ايفا من شدة الخوف. فقد جرى نبض المحرك داخل جسمها محدثاً همهمة سرت في مختلف أنحاء جسمها. ابتعلت صرخة وقد قاربت على السقوط إلى خلف الدراجة عندما اقلع بالدارجة منطلقاً إلى الأمام. أمسكت به وقد التفت يداها كالأفعى حول خصره، وقد التصق جسمها بجسمه كما يلتصق كأس الهواء المفرغ على جدار رطب. أغمضت عينيها، مصممة على أن الطريقة الوحيدة للخروج من هذه التجربة الخاصة أن تتعامل معها وكأنها تجربة لقدرتها على التحمل، وعملية لبقائها على قيد الحياة.

على أية حال، بعد عبور مبنى ونصف تقريباً، حدث شيء جديد. فتحت ايفا عينيها لترى بدهشة كيف بدا المنظر جميلاً بخلاف ما كانت تراه من داخل السيارة.

كان بريس يسير بسرعة مقبولة وكانت ايفا شاكرة لذلك.

أحست بروعة نسيم الصباح البارد، المنعش والممتلىء بأريج الربيع. لكنها كانت رائحة بريس التي سرت نحوها لتغويها. أشتمت فيه رائحة ليالي الصيف الحارة، والأحلام الطويلة المنسية وعطر الحرية. وقبل أن يتسنى لها الوقت لتستوعب من أين جاءتها تلك الأفكار لاحظت أموراً أخرى أكثر مضايقة لها.

جسمه الدافىء، وخصره النحيل تحت يديها. تراءت لها صورة سرواله الداخلي القصير الملّون وسمرة معدته الضامرة وردفيه المشدودتين وكتفيه العريضتين. وسرت تلك الحرارة في داخلها وفي اللحظة التي انعطف فيها بريس مالت الدراجة ومالت ايفا معها حكماً مما جعل ساقيها تتعلقان بساقيه لا إرادياً.

رغم خوفها، وبالرغم من الاحراج البسيط لملامسة جسمها جسمه، شعرت بالانتعاش والابتهاج وبحيوية لم تشعر بمثلها قط من قبل.

شعرت بخيبة الأمل إذ انتهت الرحلة وتوجه نحو موقف المدرسة ليوقف الدراجة في المكان المخصص لها.

عندما أوقف المحرك. نزلت ايفا عن الدراجة. وقد علا الاحمرار وجهها وهي تفكر بساقيها يضغطان بشدة حول ساقيه.

«مرحباً، آنسة وينتروب.»

استدارت ايفا لترى طالبتين من تلامذتها. «مرحباً يا ديانا ويا أودري.» همهمت بذلك لنفسها وهي تحيي الطالبتين بلا مبالاة دون أن تشعر بذلك. ثم نزعت عن رأسها الخوذة وأعطتها إلى بريس الذي ترجّل بدوره عن الدراجة.

«مرحباً يا بنات. أراهن انكن لا تعرفن ان لدى الآنسة وينتروب قلباً شجاعاً.»

نظرت الفتاتان بخجل نحو ايفا ثم نحو بريس وولّتا هاربتين تخفيان وراء ايديهما قهقهة السخرية.

وقالت ايفا بحدة: «شكراً جزيلاً. أعاني الكثير لأكسب احترام طلابي وأنت جعلتهم الآن يعتقدون اني من هواة ركوب الدراجات النارية.»

فضحك بريس قائلاً: «أفضّل أن أعتبرك ما زلت مبتدئة.» وضحك ثانية لرؤيتها تتمزق غيظاً واستطرد: «هوّني الأمر عليك يا ايفا. لقد رفعت معدل احترامهن لك بما لا يقل عن عشرين بالماية.»

وفيما توجها نحو مبنى المدرسة ابتسم بريس ناظراً إليها بعينيه اللتين تحاكيان زرقة السماء، قائلاً: «اعترفي أنك قد استمتعت بهذه الرحلة.»

وابتسمت. كانت ابتسامة صغيرة لم تستطع إخفاءها، لكنها كانت كافية لتجعل قلب بريس يسرع في خفقانه. كان يعلم أن ابتسامتها ستجعلها مبتهجة وقد كان محقاً بذلك. حتى تلك الابتسامة الصغيرة التي رسمتها شفتاها حملت وعداً، وجعلت عينيها الخضراوين تشعان بريقاً مما أضفى على وجهها حيوية مثيرة. موجة صغيرة من التوقعات تحركت عميقاً في داخله وقد تصوّر كيف ستبدو فيما لو ارتسمت على وجهها ابتسامة أكبر...

فقالت مسلّمة: «كانت تجربة غير عادية.» لم تكن راغبة في أن تقرّ له أنها، بالفعل، قد استمتعت بهذه الرحلة. في الحقيقة، كان الدم يجري في عروقها ومادة الأدرينالين

المفرزة تزيد من حدة جريانه مما جعلها تشعر أن باستطاعتها مواجهة أي عائق يقف في طريقها. لكنها لم تكن تعرف مصدر هذا الشعور الغريب من النشاط والخفة. هل هو نتيجة لتلك الرحلة على الدراجة النارية أو بسبب ملامستها المطوّلة لجسم بريس.

وقال لها بينما يدخلان المدرسة: «كنت أتساءل عما إذا كان ممكناً أن تسدي لي خدمة.»

فسألته بتردد: «أي نوع من الخدمات؟» لقد أرادت التعاطي مع بريس بأقل قدر ممكن. لسبب ما عندما تكون بقربه تشعر وكأنها قد أفرطت في الشراب. وقد شعرت بدوار بسيط وخفة في الرأس... وبدا الأمر مجموعه باعثاً في نفسها السرور.

«لقد فكرت في أن أراجع ملفات الطلاب اليوم لأقيّم سير الأمور داخل المدرسة. وأود أن أقوم بهذا التقييم بمعية شخص قد سبق وعمل في هذا المضمار لبعض الوقت. وأتساءل عما إذا كنت راغبة في ملاقاتي في المكتب بعد انتهاء دوام المدرسة.»

كان دافع ايفا المبدئي أن تجيبه سلباً. فهي لا ترغب في تمضية أي وقت غير ضروري معه، وبالتالي كان هذا الطلب له علاقة بالعمل مما جعلها تشعر بعدم الارتياح للتفكير في أن بريس، الذي كان غريباً عن المنطقة، ودون معرفة كافية بمدينتهم، مؤهل ليصدر قرارات حول سياسة المدرسة. الأمر الذي جعلها أكثر انزعاجاً. كان الأمر كابوساً.

«حسناً.» ووافقت في النهاية على كل حال، ما الذي يمكن أن يحدث في مكتبه بعد الظهر؟

وكأنه قد قرأ أفكارها، فالتمعت عيناه بخبث وابتسم تلك الابتسامة المثيرة التي جعلت ركبتي ايفا لا تقويان على حملها. «أعدكِ بأن أجعلها أجمل رحلة إلى مكتب المدير مرت بك على الاطلاق.» مع تلك الكلمات الواعدة استدار ليتوجه نزولاً نحو الرواق.

في الوقت الذي انتهى فيه اليوم الدراسي، صمّمت ايفا على أن توافق على مساعدة بريس ليس لأنه مدير المدرسة ورب عملها بل لتواجه خطر لقائه، وكم كانت حمقاء فعلاً لقبولها لقاءه.

في وقت مبكر من ذلك اليوم، وخلال فترة تناول طعام الغداء، سمعت من أساتذة عدة أن بريس كان يقوم بجولات على الصفوف ويقف في الخفاء ليراقب المعلمين خلال تأدية عملهم.

تصاعدت حدة ايفا على الفور لأنها توقعت زيارته لغرفة صفها. كيف يمكنها أن تترك عنده انطباعاً جيداً، وتبهره بمهارتها التعليمية، فيما انحصر تفكيرها حول ارتفاع حرارة جسمها نتيجة لملامسة جسمه الدافىء عندما ركبت خلفه على الدراجة النارية؟ كيف يمكنها أن تكون معلمة محترفة فيما انحصر تفكيرها بالشعور الذي أصابها عندما احتوت يداها عضلات معدته المشدودة، وقد غلّفتها رائحته المغرية؟

وقع خطوات قدميها أحدثت صدى خاوياً فيما كانت تتوجه نزولاً في الممر الخالي نحو المكتب. وكما هي العادة فقد أخلى الأساتذة جميعهم المبنى قبل أن تتلاشى أصوات الطلاب المغادرين تماماً. وعندما دخلت

المكتب وجدت أن السكرتيرة قد غادرت المكتب أيضاً.

ترددت، وهي تحدق في الباب المقفل الذي يؤدي إلى غرفة المدير. إنها غلطة... فكرت بذلك وهي تدس يديها داخل جيبي سروالها. إنها غلطة... ولقد عرفت ذلك الآن بكل ذرّة من كيانها. وفيما عدا العجوز جُو، الموظف الوحيد من عمال التنظيف التابعين للمدرسة والذي على الأرجح يغط في نومه في غرفة المرجل، كانا، هي وبريس، الوحيدين في المبنى.

أزاحت هواجسها جانباً وقرعت الباب. «إنه العمل.» ذكّرت نفسها بثبات عندما تناهى لها صوته عبر الباب وقد أذن لها بالدخول.

دخلت، كما هو حالها دائماً، تشعر بارتجاف غريب في قلبها لدى رؤيته. كان جالساً وراء مكتب من خشب السنديان القديم، يبدو نضراً وزاخراً بالحيوية كما بدا ذلك الصباح. نهض واقفاً عندما دخلت وقد سرها مظهر الأحترام الذي أبداه لها. وفكرت في أن الرجل على الأقل، ليس بربرياً إلى هذا الحد.

«لم أتحقق من أن الوقت قد تأخر إلى هذا الحد.» قال ذلك وهو ينظر بدهشة إلى الساعة في معصمه. «تفضلي بالجلوس.» وعاد إلى مكانه، مبعداً الأوراق من أمامه.

غرقت ايفا في الكرسي المقابل لطاولته وهي تشعر وكأنها طالبة متمردة تستعد لسماع محاضرة.

«كنت أراجع السجلات وأحصي النسب، متفحصاً معدلات الاختبارات ولا أستطيع تصديق ما أجد أمامي. هذه المدرسة آيلة للسقوط.»

ومضت عينا ايفا لدهشتها عدة مرات، تتساءل: «ما الذي تقصده؟»

نهض ثانية من خلف مكتبه وأخذ يذرع أرض الغرفة جيئة وذهاباً بحيوية أخاذة: «معدل السقوط هنا في بواكينا يقارن بمعدل مدرسة داخلية في أحياء مدينة نيويورك ومعدلات الاختبارات هي، في الغالب، أقل بنسبة ثلاثين بالماية من نسبة المعدل الرسمي.» بدا بريس وكأنه يستهلك الفضاء والهواء من حوله وقد برزت حيويته وقوته في صلابة عضلاته وفي حركاته المشدودة. «فريق كرة القدم لم ينل دورة واحدة منذ أكثر من عشر سنوات.» نشاطات ما بعد الدراسة، على قلتها، من يقوم بها لا يتعدى العشرة بالماية من الجسم الطالبي. يصل الطلاب والأساتذة سوية ويغادرون في نفس الوقت. ماذا أصاب الالتزامات؟ أين كرامة المدرسة؟» حدّق بها ثم ابتسم فجأة وكأنه قد تنبّه بأنه يتحدث بصخب. «آسف... إني لا أصرخ في وجهك فعلاً. إنما أصرخ بالنسبة للوضع فحسب. وحدث أنك كنت كبش المحرقة المتوفر.»

ابتسمت ايفا وهزت رأسها قائلة: «أعتقد أنني استخدمتك لنفس الغرض ليلة البارحة عندما اكتشفت وجود كلبك عند مدخل بابي.» كان من السهل أن تبتسم فقد شعرت براحة كبرى لأن صلب محادثتهما كان يدور حول العمل.

توقف بريس عن تجواله ليقف بمحاذاة النافذة حيث عكست أشعة شمس الأصيل احمرار سمرة شعره الأسود. «لا يمكنني أن أفهم كيف سُمح بحصول ذلك... الرضى الذاتي ليس موجوداً فقط بين الطلاب ولكن مع الأساتذة أيضاً.»

فقالت ايفا وقد استشاطت غيظاً، فقد كان على أية حال، يتحدث عن عملها، وعن زملائها ولم تستطع إخفاء بعض الضيق الذي أحدثته كلماته: «إنك تنظر إلى الأمور بمنظار أسود.»

«إنني بحاجة إلى منظار. فهذه المدرسة تعاني من بعض المشاكل الرئيسية وهي بحاجة إلى فحص دقيق كامل.»

«الأمر مذهل. كيف كنا نتدبر أمورنا قبل وصولك إلى هنا؟» ردت ايفا جافة متهجمة على أحكامه.

فأجاب وقد أضاءت وجهه ابتسامة العارف المتغطرس: «لا أستطيع تصور ذلك. أعتقد أن هناك العديد من الأمور التي تحتاج إلى طريقتي الخاصة في إعادة إصلاحها.» لمعت عيناه بحرارة تشبه رذاذ مياه بحيرة تدعوها إلى الغوص فيها والتمتع بمباهجها.

وواجهته ايفا بصعوبة: «ربما هناك بعض الأمور التي من الأفضل تركها على ما هي عليه.»

«أظن أنه علينا الانتظار لنرى.» تغيّرت زرقة عينيه وغَمُق لونها وقد اتخذت مسحة من التحدي الذي كان مخيفاً ومغرياً في آن معاً.

وتابع قائلاً بخفة: «على أية حال لدي بعض الأفكار أرغب في طرحها عليك لأرى وجهة نظرك حول تجاوب الأساتذة الآخرين حيال التغييرات المقترحة.»

هزت ايفا رأسها وشعرت بالارتياح لعودة المحادثة إلى موضوع العمل ثانية.

جلس بريس وراء مكتبه ثانية. «أول شيء أنوي القيام به هو جعل وصول الأساتذة إلى المدرسة قبل نصف ساعة من

وصول الطلاب صباحاً وبقائهم ساعة بعد انتهاء الدوام أمراً إلزامياً. عليهم أن يتواجدوا هنا لتقديم المساعدة الإضافية وإجابة الأسئلة. وإلاّ كيف لنا أن نتوقع من الطلاب التقيد إذا كانت هيئة التدريس تفتقد هذا الأمر؟»

فضحكت ايفا. «من المؤكد أن ذلك لن يكسبك صديقاً بين هؤلاء المدرّسين.»

«لا أتطلع لكسب أصدقاء. أريد أن أفعل الأفضل من أجل الطلاب.»

هزت ايفا رأسها مفكرة. «في الواقع، إنها فكرة جيدة. أخشى أننا أصبحنا متراخين منذ عملنا من دون مدير للمدرسة.» مع أن ايفا قد وافقت على تمديد ساعات العمل، لكنها عرفت أن عدداً من الأساتذة لن يروق لهم هذا الأمر لكنه محق، كانت نفحة من الرضى بالأمر الواقع تحوم فوق المدرسة.

«من أجل خطوتي التالية، أريد منك مرافقتي.» نهض واقفاً وتوجه نحو الباب وهو ينظر إليها مترقباً.

فسألته وهي تتبعه إلى خارج المكتب ومنه نزولاً إلى الرواق: «إلى أين نحن ذاهبان؟»

«سوف ترين.» وابتسم لها بغموض. «من أهم الأمور التي يجب إنجازها هو إشراك الطلاب وإعطاؤهم سبباً يجعلهم يتشوقون للحضور إلى المدرسة.

فأجابت ايفا وهي تسرع لمجاراته في خطواته الواثقة الطويلة: «الكلام أسهل من العمل.»

«لدي فكرة، قمنا بمثلها في نيويورك.» وتوقف عند رؤية مجموعة من الدعائم الحديدية المرتفعة عن السقف باتجاه

سطح المبنى. «نادٍ على قمة السطح.» وابتسم بوجهها مترقباً وقد جعله اندفاعه الصبياني يبدو أقل توعداً. «تعالي.» وأومأ إليها أن تسبقه في صعود الدرج.

ترددت، غير متأكدة إن كانت ترغب حقاً في أن تكون مع بريس على السطح، فهي على أية حال، لم تعرفه جيداً بعد، ولربما كان من النوع المهووس.

ضحك من ترددها قائلاً: «ايفا، هل أنت دائماً تفكرين قبل أن تقدمي على أي عمل؟ ألا تتصرفين وفقاً لرغباتك؟»

«أبداً.» ردت عليه ايفا بحزم: «التهوّر من صفات الحمقى.»

«لكن القليل منه مفيد للروح.» قال بريس ذلك مبتسماً.

وردت ايفا بحدة: «لا بد أن روحك بصحة جيدة.» وأمسكت بقضبان السلم وصعدت متسائلة، لماذا أثار بريس ماكسويل مثل هذه العواطف المتأججة داخلها؟

صعد بريس السلم وراءها مستمتعاً برؤيتها المثيرة. لقد جعلها تغضب بتعليقه على التهور. غضبها كان بادياً من اهتزاز مؤخرتها وهي تدوس بقوة على الدرج.

آه، كيف أسرته بسحر عينيها الملتهبتين شوقاً وقدرتها على التحكم بعواطفها. ذكّرته بنفسه كيف كان، منذ خمس سنوات، مُثقلاً بتحمل المسؤوليات، متسربلاً بقيود فرضها على نفسه. إن ما هي بحاجة إليه هو شخص يساعدها في تحطيم هذه القيود. والسؤال، هل هو الرجل المعدّ لتلك المهمة؟

فيما وصلت إلى قمة السطح واستدارت لتنظر إليه، كانت عيناها تشعان بمزيج من الإثارة والتبرم. وعرف بريس أنه

يريد أن يكون الرجل الذي يعلمها كيف تستمتع بالحياة والحب معاً.

لحق بها إلى السطح وسار برفقتها حتى حافته، حيث انحنى فوق جدار القرميد. كان يمكن رؤية معظم ماين ستريت من قمة مبنى المدرسة المؤلف من ثلاث طبقات.

وسألها وهو يحدق في المدينة الصغيرة الهادئة: «ماذا يفعل الناس من أمور مثيرة هنا في نهاية الأسبوع؟»

فاقتربت ايفا ووقفت بجانبه. «يوجد هناك مقصف في الناحية الشمالية للبلدة، وصالة للسينما في العراء إلى الجنوب. وغالبية الشبان يتحلقون حول مطعم البيتزا في ماين. إنها البقعة الوحيدة في البلدة التي لديها صندوق النغم لسماع الموسيقى. وهناك، بالطبع، مقبرة ورثنغتن.»

استدار بريس ونظر إليها بفضول. «هل سكان بواكينا الطيّبون يعملون في سرقة المقابر؟»

«ليس فعلاً، إنها بديل لجادة المحبّين في بواكينا.» قالت ضاحكة. وحبس بريس أنفاسه.. كم تبدو جميلة في نور الأصيل الباهت المتراقص فوق وجهها الضاحك وشفتيها الباسمتين.. وأحس بلهيب يشتعل في داخله. جادة المحبين ـ آه، أجل يمكنه تصور نفسه مع ايفا داخل سيارة وعطرها الفواح يلفّه فيما هو يكتشف جوانب عنقها وفحوى بشرتها بفمه. فمن السهل عليه أن يغزو جسمها الرائع المستسلم له فيما زجاج نوافذ السيارة قد غلّفه ضباب عواطفهم المتبادلة.

لا بد أنها رأت نار الرغبة تطل من عينيه، لذا ابتعدت عنه خطوة وغابت ضحكتها فجأة عن شفتيها. «هل أحضرتني

إلى هنا لتبحث معي العادات الاجتماعية لسكان بواكينا، أم أنك ستخبرني عن آرائك لتحسين المدرسة؟

فقال مبتسماً: «يمكننا مناقشة عاداتك الاجتماعية.»

فقالت بحدة: «ليس لدي وقت للعادات الاجتماعية، وإذا لم تتحدث حول العمل، عندها يجب أن أعود إلى المنزل.» وأخبرته نظرتها إليه أنها جادة فيما تقول. «حدثني عن نادي السطح. وما هو بالضبط؟»

ابتسم مذعناً ولو إلى حين، ذلك انه عاجلاً أم آجلاً، سيعمد إلى النيل من حصن الدفاع الذي أقامته ايفا.

باستطاعة الطلاب أن ينالوا أسبوعياً، علامات لأدائهم الجيد. وبعد أن يجمعوا العديد من هذه العلامات يمكنهم الصعود إلى نادي السطح لتناول الغداء وسوف نؤمن لكل واحد منهم البيتزا والمرطبات.» توقف للحظة. «ما رأيك في هذا؟» ونظر إليها مترقباً.

فردت ايفا بعنف: «أعتقد أنك مجنون فإلى جانب كل ما قرأته مؤخراً، أعلم أن نظام المكافأة لا يعمل جيداً في حث الطلاب.»

فقال بريس: «ليس هذا جزءاً من نظام المكافأة. إنها خطة لتحويل الهدف. لقد نجحت في نيويورك.»

«ولكن يا بريس، هذه ليست مدينة نيويورك. بالإضافة إلى ذلك فإن السيدة ورثنغتن لن تسمح بذلك أبداً. لن تصرف المال لشراء البيتزا ومياه الصودا.» وبدأت ايفا تنزل الدرج يتبعها بريس. وعندما وصلت إلى الأسفل، نظرت إليه ثانية. «آسفة، إني لا أعتقد أن هذه الفكرة سيكتب لها النجاح. إنها فكرة مجنونة.» وانطلقت إلى الباب الأمامي للمدرسة بينما جرى بريس مسرعاً خلفها.

«لقد عرفت السيدة ورثنغتن ماذا سيحصل لها عندما استخدمتني. في الواقع، سجلي السابق يشهد بأنني لا أتّبع دائماً الطرق التقليدية.»

«رؤية الأشياء على الورق ومعايشة ذلك في الواقع، أمران مختلفان.» قالت ايفا ذلك وهي تنظر إلى الساعة في معصمها وتابعت: «يجب علي أن أتوجه إلى المنزل.»

قال بريس عندما وصلا إلى ساحة الوقوف: «سأوصلك إلى المنزل. أنا جاهز للذهاب أيضاً.»

«كلا، أفضّل المشي.» قالت ايفا محتجة بحدة دون قصد. فهي لم ترغب بركوب آخر على دراجته النارية ولم تشأ أن تعاود ذلك الاتصال الجسماني معه ثانية.

وسألها وهو يقف إلى جانب دراجته: «هل أنت متأكدة؟»

فهزت رأسها، وتابع هو كلامه: «إنني عازم على المضي في إقامة نادي السطح وإذا لم تدفع السيدة ورثنغتن تكاليفه، عندها سأدفع ذلك من مالي الخاص. نحن في منافسة مع ألعاب الفيديو والبث التلفزيوني الموسيقي. علينا أن نمنح هؤلاء الطلاب شيئاً مسلياً، سبباً يدفعهم للحضور إلى المدرسة أو انها حتماً ستفقدهم. كما أنني أخطط لإعداد مدرسة للرقص.»

هزت ايفا رأسها. «ليس لدينا مدرسة لتعليم الرقص منذ أكثر من خمس سنوات، فالسيدة ورثنغتن لا تؤمن بهذه المدارس.»

«ليس هناك شيء في عقدي يقول أن عليّ إرضاء السيدة ورثنغتن، بمقدورها أن تمتلك معظم هذه المدينة، وإنما لا يمكنها امتلاكي.» واقترب من ايفا وشعلة الشوق في عينيه.

«إنني رجل حر التعبير عن الذات ايفا، هل يسعك أنت أن تكوني امرأة حرة التعبير عن ذاتك؟»

في الواقع لم تستطع ايفا قول أي شيء. لقد توقفت أنفاسها. قربه منها سحب كل الهواء المتوفر لتتنفسه وعندما تقدم خطوة ثانية، وقد لامس صدره صدرها علمت أن عليها التراجع إلى الوراء لكن قدميها جمدتا في مكانهما. ولم تستطع التحرك في تلك اللحظة حتى ولو كانت حياتها كلها تعتمد عليها.

لهيب بركان ثائر قد شع من عينيه، وأحسّت وكأنها عذراء على مذبح التضحية وقد أيقنت أنها فيما لو قفزت داخل فوهة اللهب فسينالها الموت حتماً، لكنها كانت غير قادرة على مقاومة رغبتها في القفز.

قبل أن يتسنى لها الوقت لترفع صوت الاحتجاج اليائس، لامست شفتاه شفتيها. بدأ ناعماً كحفيف قماش حرير الساتان فوق الجسم، ثم أصبح قاسياً وهو يكتشف روعة حبها.

لم يكن باستطاعة ايفا إلا أن تستجيب للغة شفتيه الحسّية. فقد جاوبته ببراعة بلغة لم تدرك من قبل أنها تجيدها.

أبعد فمه عن فمها ببطء وابتسم لها قائلاً: «كانت هذه نزوة.»

تراجعت ايفا خطوة إلى الوراء، مذهولة... كيف سمحت بأن يحدث ذلك؟ «كانت هذه غلطة.»

اتسعت ابتسامته وهو يتناول خوذته ليضعها على رأسه مخفياً بذلك شعره الأسود الطويل. «إذا كانت تلك غلطة فقد شاركت فيها.»

www.elromancia.com

فسألته وما زالت مبهورة الأنفاس ثائرة العواطف: «ماذا تقصد بذلك؟»

جلس على مقعد الدراجة وأدار المحرك الذي هزها هديره. «لقد قبلّتك لكنك بادلتني القبلة.» وغمزها بعينه قبل أن ينطلق مبتعداً.

وقفت ايفا محدّقة في أثره، وهي تفكر في الأمور التي بحثت. من نادٍ على السطح ومدرسة للرقص... لن يكون الكثير من الناس سعداء بالتغييرات التي يعتزم إجراءها في المدرسة. رفعت يدها لتلمس بنعومة شفتيها المنتفختين. لقد كانت خائفة حقاً من تهديده بالتغيرات التي سوف يحدثها فيها.

الفصل الرابع

«ما الذي يحدث هناك؟» تمتمت ايفا في سرها وهي تُسرع خطواتها نحو مبنى المدرسة. فقد رأت عن بعد حشداً من الطلاب وقد تجمهروا في الباحة الأمامية للمدرسة وقد علت أصواتهم المليئة بالإثارة مما دلّ على أن شيئاً غير اعتيادي قد حدث.

«ما الذي يجري هنا؟» سألت وهي تقترب من مجموعة من الأولاد.

فأجاب أحد الصبية وعيناه تشعان بالإثارة وهو يشير بإصبعه إلى قمة السطح: «السيد ماكسويل هناك فوق السطح. وهو يقول إنه سيبقى هناك طيلة اليوم الذي يكون فيه حضورنا كاملاً.»

وأضاف صبي آخر وهو يهز رأسه: «أجل، وقد نصب خيمة له هناك لينام بداخلها.» وابتسم بخبث. كان واضحاً أنه تأثر تماماً بما فعله بريس مع أن ايفا عرفت أنه ليس بالأمر السهل، بالنسبة لصبي أن يعبّر عن إعجابه بهذه الطريقة.

من المحتمل أن الأولاد قد ظنوا أن بريس كان مرعباً. لكن أيضاً يمكنها التفكير باختيار صفات أخرى لتصف بريس بالأحمق والمخبول أو صفات من هذا القبيل.

مشت نحو المبنى نزولاً عبر الرواق إلى غرفة الصف وتمتمت وهي تدخل الغرفة: «الرجل مخبول كلياً. إنه يهذي.»

www.elromancia.com

«سيبدأ الناس بإثارة الأقاويل حولك إن لم تكفّي عن محادثة نفسك.» واستطردت مارغي بعجب من وراء معقدها عند طرف طاولة ايفا: «أظن أنك سمعت النبأ المثير عن حضرة مديرنا الموقّر وجلوسه على السطح؟»

هزت ايفا رأسها ووضعت مجموعة الأوراق على حافة الطاولة. «واحد من الطلاب في الباحة الخارجية أخبرني شيئاً حول الحضور.»

وتراقص شعر مارغي الأشقر وهي تقول: «أعتقد أن حضورنا بالأمس كان كاملاً وهذا ما أوحى لمديرنا بهذه الفكرة. لقد أمن استعداده لذلك. لقد أحضر خيمة وبعض الكراسي التي يمكن طيّها وكيساً للنوم معه إلى السطح.»

«أتساءل عن مدى استعداده للتحدث إلى أعضاء مجلس إدارة المدرسة إذا أعدّوا أنفسهم لتلك المجازفة الصغيرة.» ردت ايفا بذلك وهي تنظم مجموعة من الكتب على رفٍ مجاور.

فقالت مارغي وهي تقفز عن الطاولة وتسوّي تجعيدة في قماش تنورتها: «سيعدّون أنفسهم لذلك بشكل جيد. سمعت أن اثنين من الطلاب طلبوا القناة الرابعة لغرفة الأخبار.»

فتأوهت ايفا: «لنأمل أن لا تكون الأخبار اليوميّة مملّة.»

فردت مارغي ساخرة: «ومنذ متى لم تكن الأخبار اليوميّة مملة في بواكينا؟ حسناً من الأفضل أن أتوجّه إلى الصف مع كل هذه الإثارة هنا وهناك يتحوّل الأولاد إلى وحوش كاسرة.» ولوت مارغي أصابعها وقد تطايرت خصلات شعرها لتختفي وراء الباب.

الاعتصام على السطح ووصول كاميرات الأخبار... بدا

بريس ماكسويل بطرقه غير التقليدية وكأنه قد حوّل المدرسة إلى حديقة للحيوانات. مما جعل ايفا تشعر أن أعضاء مجلس إدارة المدرسة لن يسرهم هذا الأمر كثيراً.

لقد كان يوماً مملاً. فقد وصل صباحاً فريق الأخبار مزوّدين بكاميراتهم الصغيرة وتصحبهم مذيعة شابة. مرّ وقت الغداء وقاعة الأساتذة تضجّ بالحديث عن بريس. حيث كان الذهول هو النغمة السائدة بين الموظفين. أعضاء مجلس الإدارة وبشكل ملحوظ السيدة ورثنغتن، كانوا غائبين بالاجماع عن نشاطات اليوم.

قرّرت ايفا بعد انتهاء دوام المدرسة أن تصعد السلم إلى السطح لتتحدث إلى بريس. توقفت للحظة عند أسفل الدرج لتسوّي بلوزتها الزرقاء التي ارتدتها فوق سروال أزرق داكن اللون، وقد مرّت بيدها بسرعة فوق شعرها القصير. تأنقها هذا جعلها تتجهّم وهي تصعد الدرج متضايقة من نفسها.

«أهلاً بك في مسكني المتواضع.» قال بريس مرحباً وهي تضع قدميها على السطح. وأومأ إلى الخيمة الصغيرة المنصوبة.

اقتربت منه ايفا وهي تهز رأسها بحزن قائلة: «لديك موهبة في تحريك الأمور يا سيد ماكسويل.»

فقال باسماً: «آه، آنسة وينتروب إثارة المشاكل مفيدة إذا كانت نتائجها النهائية إيجابية.» كانت ابتسامته ساحرة، نزقة، تشوبها مسحة من التمرد. حتى طريقة ارتدائه للثياب تحدثت عن رغبته في أن لا يكون تقليدياً. فسرواله الجينز الضيق وقميصه القطنية الزرقاء الباهتة اللون وشذى عطره كل ذلك نكّرها فجأة بفيلم قد شاهدته سابقاً.

فردت بجفاء: «ما تحتاجه هذه المدينة هو صورة لجايمس دين لتبعث فيها قليلاً من الإثارة.»

اتسعت ابتسامة بريس ليقول: «لكن جايمس دين كان ثائراً من دون قضية. أما أنا فثائر من أجل قضية.»

«الشيء الوحيد الذي ستحققه يا بريس هو تأليب مجلس الإدارة ضدك. إنهم عصبة قوية وسوف يدقون عنقك إن لم تتصرف حسبما يريدون.» وعضت ايفا على شفتها السفلى محبطة.

مدّ يده نحوها ليدعوها للجلوس على كرسي، ثم جلس على كرسيّ آخر على مسافة قريبة جداً منها مما جعل ركبتيهما تتلامسان. حاولت ايفا أن تتجاهل الحرارة التي اشتعلت فوراً من جراء تلك الملامسة.

«ليس المهم أن تكون هيئة الأساتذة جيدة فقط، إذا لم يكن هناك طلاب يعلمونهم.» كان وهو يقول ذلك، ممسكاً بيدها، حيث بدأ يرسم دوائر صغيرة بإبهامه على ظاهر يدها الرقيقة مما جعلها تشعر بالارتباك. «لو أدّى اعتصامي البسيط إلى جعل الطلاب يحضرون يومياً إلى المدرسة، فإن هذا يستحق شيئاً من الهدوء والإتزان من جانب مجلس إدارة المدرسة.»

هزت ايفا رأسها، إذ أدركت غاية تصرفه الجنوني. إضافة إلى أنه كان من الصعب عليها أن تفكر بترابط منطقي وقد جلس قريباً جداً منها وقد غمرتها رائحته فيما كانت يده تعبث بأعصابها.

قفزت عن كرسيها لتبتعد عنه وقد شعرت أنها بحاجة لمسافة تبعدها عن حضوره المسيطر عليها. «إنني قلقة من

أن استمرارك على هذا النحو، قد ينتهي بك إلى ما هو أكثر من مجرد التشويش.»

فاقترب منها مبتسماً. «لقد أخبرتك من قبل، أن على السيدة ورثنغتن أن تعرف ماذا ينتظرها عندما استخدمتني ولكن، أعجبني قلقك نحوي ولم أكن أعلم أنك تحفلين للأمر.»

احمرّ وجه ايفا خجلاً لتقول له: «لا تكن سخيفاً. إني فقط لا أريد أن نجد أنفسنا، مرة أخرى، من دون مدير للمدرسة.» قالت ذلك وقد اشتد احمرار وجهها عندما رماها ثانية بابتسامة مشرقة.

يجب القبض على هذا الرجل لحيازته سلاحاً خفيّاً. فكرت بذلك عندما أحسّت أن ابتسامته قد أضعفت ركبتيها وأشعرتها بدوار وكأنها قد تلقت ضربة على رأسها. نظرت إلى الساعة في معصمها محاولة استعادة اتزانها. «حسناً، أعتقد أنه من الأفضل أن أعود إلى المنزل.»

«قبل أن تذهبي، أرجو تنفيذ بعض المطالب لي.» وأضاف بلطف: «خططت لهذا التحدي الصغير للطلاب فجأة هذا الصباح. لديّ خيمة وكيس للنوم من أيام التخييم. لكن هناك بعض الأمور لم آخذها بعين الاعتبار مثل العناية بالكلب وتأمين عشائي.» مدّ يده داخل جيبه وأخرج مفتاحاً. «هل سمحت بإطعام كلبي بينما أنا باقٍ هنا؟»

ترددت وهي تنظر إلى المفتاح في يده. أرادت أن تقول له لا. فهي لا ترغب في أن تتورط أكثر من ذلك مع هذا الرجل وعملياً، لا تريد أن تفعل شيئاً يخص كلبه الأجرب.

«سأكون شاكراً لك ذلك فعلاً يا ايفا، فأنا ودوغ لا نعرف أحداً سواك لنسأله.»

«حسناً.» وافقت على مضض وأخذت منه المفتاح. على أي حال، لا يسعها أن تدع الكلب المسكين يتضور جوعاً، وبدا الأمر منطقياً أن يسألها بما أنها تعيش إلى جواره.

«هل يكون الأمر كثيراً عليك إن سألتك أن تحضري شيئاً لآكله هذا المساء؟ أكون مسروراً إن دفعت لك مقابل ذلك الإزعاج.»

فردت ايفا: «ليس عليك أن تدفع لي. اعتبر الأمر من باب إظهار روح الزمالة.» ونظرت إليه بفضول. «هل أنت حقاً ستمضي الليل هنا؟»

هزّ رأسه قائلاً: «وفي ليلة يكون فيها الحضور كاملاً، إنها مسألة شرف. لقد وعدت الأولاد بذلك لذا عليّ الآن الوفاء بذلك.»

«وماذا يحدث إن أمطرت السماء؟»

فرد عليها ببساطة: «عندها قد يبللني الماء. عندي خيمتي على كل حال وسأكون بخير.»

هزت ايفا رأسها وسارت نحو السلم الذي يؤدي إلى الأسفل. «سأعود إليك لاحقاً هذا المساء.»

تنهدت بارتياح وهي تغادر السطح. كان هنالك شيء في شخصية بريس قد امتصّ طاقتها وسيطر على مشاعرها. كان أكثر حيوية من أي شخص عرفته على الاطلاق. حيويته أظهرت كم كانت حياتها فارغة وكئيبة.

وفيما سارت نحو المنزل لمع في خاطرها أن تتصل بكولين لترى متى ستعيد إليها سيارتها. إذا كان عليها الذهاب إلى المدرسة والعودة منها مرتين في اليوم، فإنها حتماً بحاجة إلى السيارة.

دخلت إلى شقتها لتستقبلها فلافي بموائها، أمسكت قطتها وربتت بسرعة على ظهرها، ثم سارت نحو المطبخ حيث ألقت بمجموعة الكتب والأوراق على الطاولة.

كان من عادتها أن تصحح الأوراق وتعدّ فروض اليوم التالي فور وصولها من المدرسة. ومع ذلك فقد بدت هذه الفكرة بتلك اللحظة مملة. كان رأسها ممتلئاً بحيوية بريس بدلاً من أن يستقر على تصحيح الأوراق بالإضافة إلى أن مفتاح شقته كان يحدث حريقاً داخل جيبها، مُلحاً عليها أن تنسى أمر الروتين العادي وتسرع إلى رؤية المكان حيث يعيش لترى إن كانت تستطيع التقاط معلومات أكثر عن الرجل من حاجاته الخاصة.

وعجبت كيف استطاع أن يثير فيها كل هذا الاهتمام. لم تستطع أن تنكر ذلك بعد الآن. بالرغم من أنه لم يكن كما تخيلت مرة، رجل أحلامها، إنما كان هنالك شيء ما فيه قد أثارها.

غادرت مسكنها واتجهت عبر الشرفة لتفتح الباب بحذر، قلقة من ردة فعل دوغ حيال دخولها المفاجيء. لم تكن بحاجة لهذا القلق. فما أن خطت عبر الباب الأمامي حتى حيّاها دوغ وهو يهز ذيله باهتياج محركاً مؤخرته، ضرب الباب بيده واستدار لينظر إليها وعيناه البنيتان مليئتان باستغاثة صامتة. فتحت له الباب ثانية وجرى الحيوان إلى الخارج لقضاء حاجته. وتمنّت ايفا أن يكون ذكياً ليعود ثانية بعد إنهاء مهمته.

حوّلت انتباهها إلى داخل الشقة. تصميم الغرف كان على شاكلة شقتها بخلاف الأرضية التي كانت على العكس

تماماً. وقفت في غرفة الجلوس مع أنه كان من الصعب عليها أن تفكر في أن هذه الغرفة فعلاً معدّة للجلوس. كانت قليلة الأثاث، فهناك جهاز تلفزيون و«كنبة» عريضة من القماش القطني رمادية اللون وجهاز ستريو، لم تكن هناك اسطوانات مبعثرة ولا صور معلقة على الحائط ولا حتى وجود حلى صغيرة تافهة مرميّة هناك. كانت سمة الارتحال تسود المكان وكأن كل شيء وضع بحيث يسهل نقله إلى عربة متحركة معلقة بقاطرة.

رغم ذلك كانت تعرف أن بريس لا ينساق وراء مزاجه من مكان إلى آخر. لقد سمعت إشاعات تقول بأنه كان مديراً للمدرسة الأخيرة التي درّس فيها طوال السنوات الست الماضية. وذلك بالطبع ليس من سمات من ينساق وراء مزاجه. الشاهد الوحيد على وجود أحد في الشقة كان إبريق لصنع القهوة وفتّاحة علب كهربائية. ألم تقرأ في مكان ما أنك تستطيع معرفة الكثير عن الناس من محتويات ثلاجاتهم؟ فتحت الثلاجة وحدّقت داخلها. نصف قنينة ملأى بعصير الطماطم، غالون من الحليب ومرطبان من المخلل اللذيذ. لو أن المجموعة غير العادية من المواد الغذائية تعرف شيئاً عن بريس ماكسويل، فلن تخبر عنه.

واتجهت إلى غرفة النوم، حيث كان يوجد سرير مزدوج وخزانة ذات أدراج. كان السرير مغطى بشراشف سوداء وبيضاء اللون ذات أشكال هندسية واضحة، وقد تجعدت قليلاً، وما زال موضع رأسه ظاهراً على إحدى الوسادات. ومن دون أي وعي منها، اتجهت إلى السرير ولمسته براحة

يدها، متسائلة عما إذا كان لا يزال يحوي حرارة جسمه.

جذبت يدها مذعورة عند سماع خربشة عالية عند الباب الأمامي تذكرت دوغ، لاعنة جنونها، تركت غرفة النوم. وأسرعت لتعيد الكلب إلى الداخل.

أسرع دوغ إلى الداخل، متوجهاً على الفور إلى المطبخ حيث طبق طعامه على الأرض. فوقف عند الطبق الفارغ، ثم استدار ونظر إليها مترقباً.

«حسناً، لحظة واحدة.» تمتمت ايفا، وأخذت تفتح الخزانات باحثة عن طعام للكلاب: «آه، ها هو ذا قالت ذلك عندما رأت كيساً كبيراً من الطعام الجاهز تحت حوض الغسيل. واستعملت المكيال الموجود داخل الكيس، لتملأ الطبق بسرعة. وتفحصت إن كان هناك ما يكفيه من الماء، وربتت على رأسه بتردد. لقد كان حقاً أبشع كلب مُهجن رأته في حياتها.

خرجت من المطبخ، تاركة الكلب يستمتع بعشائه. توقفت عند الباب الأمامي وألقت للمرة الثانية نظرة شاملة على غرفة الجلوس. يبدو أن جوّ المكان المؤقت قد ملأ روح الرجل الساكن هنا. عدم الاستكانة، التهور، الاندفاع... التحرر، وتجهمت. غريب كيف مرت ببالها تلك الصفة الأخيرة. «متحرر بالطبع.» أعادت إقفال الباب بعد أن دفعته وراءها وهي تغمغم: «متحرر ليجعل من نفسه أضحوكة.» ومن ثم عبرت الرواق إلى شقتها.

وبينما كانت متجهة إلى المطبخ، التقطت سماعة الهاتف عازمة أن تتصل بكولين لتستعيد سيارتها. «كولين، معك ايفا على الخط. أريد استعادة سيارتي هذا المساء. إن لم

أكن موجودة عندما تمرّين علي، سأكون في المدرسة... على السطح.»

أفضت برسالتها لأختها عبر المسجل الآلي للهاتف وابتسمت وهي تعيد السماعة إلى مكانها، مفكرة بفضول كولين لدى سماعها الرسالة. الاحتمال الأقوى أن كولين ستأتي في المساء إلى المدرسة ولو لرؤية ما تفعله ايفا على السطح.

بعدما أنهت المخابرة، جلست ايفا إلى طاولة المطبخ وبدأت بتصحيح أوراق الطلاب.

كانت الساعة تقارب السادسة عندما أنهت الورقة الأخيرة من عملها وتمددت محاولة استرداد أنفاسها. ذهبت إلى غرفة النوم، وبدّلت ملابسها بسرعة حيث ارتدت سروالاً من الجينز وكنزة فضفاضة زهرية اللون. قرقرة معدتها، بالإضافة إلى وخزات جوع، جاءت لتذكرها أن بريس على الأرجح جائع هو أيضاً.

إنها لا تستطيع المرور على مطعم للهمبرغر بالطبع، من دون سيارتها، لكن لديها الكثير من الطعام لإعداد وجبة خفيفة.

فيما كانت تملأ سلة الطعام، قررت أن تتناول الطعام معه. إنه على الأرجح، سيرحب برفقتها، فمكوثه فوق على السطح لمدة طويلة لا بد أشعره بالوحدة. سخرت من الفكرة بينها وبين نفسها. فقد بدا بريس ماكسويل أكثر اعتداداً بنفسه من أن يشعر بآلام الوحدة.

بهت نور الشمس الذهبي عند الشفق بينما كانت في طريقها عائدة إلى المدرسة. كان الهواء افئاً، يهمس بأن

حرارة الصيف اللاذعة قد اقتربت وتساءلت إن كان بريس سيكون موجوداً للاستمتاع بصيف بواكينا. سيمضي عقداً لإنهاء ما تبقى من هذه السنة والسنة المقبلة كلها. لكن ايفا كانت تعرف أنه إذا لم يتمكن من إرضاء ارين ورثنغتن، عند ذلك ستجد المرأة العجوز طريقة لإلغاء العقد. لقد فعلت ذلك في الماضي، وهي بالتأكيد لن تتردد في فعل ذلك مرة ثانية.

«لكن ذلك ليس من شأني.» وذكّرت ايفا نفسها بأن مستقبل بريس، أو فقدانه، في بواكينا لا علاقة له بها. كل ما هو بالنسبة إليها إنه رئيسها، وجارها وذلك كل ما تعتزم أن تكون عليه علاقتهما.

رغم ذلك، كان من الصعب عليها أن تبرر منطقياً، لماذا كان قلبها يخفق مضطرباً وهي تصعد إلى أعلى الدرج، ورأته. كان يجلس على كيس النوم الذي كان قد بسطه تحته. كانت رجلاه ملتفتين على الطريقة الهندية، ورأسه منحنياً يقرأ كتاباً مفتوحاً على ركبتيه.

عندما وصلت إلى السطح، رفع نظره إليها هاتان العينان الحادتان الزرقاوان أظهرتا الابتسامة التي بدت على شفتيه. قفز قلبها من مكانه، وشعرت بموجة حرارة تزحف نحو رقبتها وعبر وجهها.

لقد سمعت عن العيون الحالمة، لكن بريس لديه وجه حالم. عندما يبتسم على ذلك النحو، تجتاح أوصالها حرارة غريبة تجعلها تشعر أنها على شفير الهاوية. وفجأة تذكرت القبلة المختصرة التي تبادلاها وتساءلت كيف سيكون شعورها فيما لو كانت قبلة مشبوبة العواطف.

هزّت رأسها، لتبدد أفكارها، وسألته بسرعة بينما نهض هو وتوجه نحوها: «هل أنت جائع؟»

«أتضور جوعاً.» أجابها بذلك وقد استقرت نظرته على فمها، مما جعلها تفكر في أنه لا يتكلم عن الطعام.

قاومت الدافع لترطب فمها، وقد وجدته فجأة جافاً بشكل لا يصدق. «عظيم، لقد أحضرت دجاجاً.» ودفعت بالسلة إلى يديه، وقد ازداد توهج وجنتيها، فيما اتسعت ابتسامته عمقاً.

«ليس هنالك أفضل من فخذ لذيذ الطعم أو صدر مكتنز.» كان صوته مثيراً بشكل واضح بينما كان يبتسم لها.

«إنك فاسد الخلق.» أجابته ايفا.

ضحك، وكان ذلك تعبيراً عن ابتهاجه الأمر الذي جعل أصابع قدميها تتحرك داخل حذائها. «تعالي، واجلسي.» ركع على كيس النوم وسوّى المساحة المتبقية إلى جانبه. وعندما انضمت إليه، فتح السلة ونظر في داخلها. «لقد أحضرت طعاماً يُطعم خمسة أشخاص.» قال مستهجناً وهو يخرج «الفروج» المقلي الملفوف بورق الألمينيوم، مع أوعية تحتوي على سلطة البطاطا وفاصولياء مطبوخة. «ستشاركينني الطعام، أليس كذلك؟»

هزت رأسها إيجاباً، وأخذت تساعده في تفريغ الطعام المتبقي.

وسأل وهو يملأ صحنه: «بحق السماء، من أين لك الوقت الكافي لتعدي كل هذا؟»

«لقد أعددت معظمه بالأمس، إنني عادة أمضي بعد ظهر يوم الأحد أعد طعام الأسبوع التالي.»

«آه، عزيزتي ايفا المنظمة والمخططة الجيدة.» ولمس بخفة طرف أنفها، ثم حوّل انتباهه نحو فخذ الدجاج المكتنز الموجود في صحنه.

حدقت ايفا في صحنها، وأنفها يتقد حرارة حيث لمسها. ايفا عزيزتي، وقع كلماته بأنها عزيزته أطلق ارتعاشة في داخلها.

خلال الدقائق القليلة التالية، خيّم عليهما صمت مريح، مستمتعين بتناول الطعام بينما غيوم الليل الزاحفة تلاحق فلول ضياء الشفق. وعندما اشتد الظلام، سحب بريس المصباح من الخيمة وأشعله، مما أوجد ضياءً ذهبياً ناعماً حولهما.

أخذت تتأمله خلسة بينما كانا يتناولان طعامهما. لقد فتنها سحره من رأسه حتى أخمص قدميه. من أهداب عينيه الزرقاوين الكثيفة إلى شكل شفتيه الجميلتين. لم يثرها رجل من قبل مثلما أثارها هذا الرجل ولم تشعر قط من قبل بضعف قدرتها على إبقاء مسافة آمنة فيما بينهما، كما تشعر الآن.

مرت سيارة في الشارع وأطلقت صوت النفير وقد علا صياح الأولاد من داخلها. مشى بريس إلى حافة المبنى ولوّح بيده للأولاد. «إني متأكد أنهم يريدون التحقق من أني لا زلت هنا.» قال ذلك، وعاد للجلوس إلى جانبها مرة ثانية، وقد جعلتها حرارة جسمه تفيض حرارة.

وقالت وهي تحاول تبديد ما يعتمل في رأسها من أفكار مخجلة: «لقد أطعمت دوغ.»

«شكراً لك. كنت قلقاً بشأنه.»

«أعتقد أنه أبشع كلب رأيته في حياتي.» علّقت على الأمر.

فابتسم بريس ابتسامة عريضة وهزّ برأسه. «نعم، إنه يعطي معنى جديداً لكلمة كلب بشع. لكنه مخلص وذكي ومنذ أن دخل حياتي كلانا يحتاج إلى الآخر.»

فسألته وهي تضع صحنها الفارغ جانباً: «ماذا تعني بذلك؟»

«كنت يوماً كئيباً، وقد جلست في حديقة قريبة من منزلي، يغمر نفسي الأسى حين جاء دوغ مختالاً وجلس على الأرض إلى جانبي.» وابتسم بريس. كانت ابتسامة صغيرة تنم عن ذكريات سارة. «بدا دوغ بأسوأ حال. من الواضح أنه قد خرج لتوه من معركة حامية الوطيس. أذنه تنزف دماً وممزقة بالكامل، كان مثخناً بالجراح والضربات في كل أنحاء جسمه. نظرت إليه وفكرت. «الآن، هذا الحيوان قد نال الأسوأ. إنني على الأقل، لا أنزف وبالتالي لا زلت أملك أذني الاثنتين.» ووضع صحنه جانباً وهو يتابع: «عندما غادرت الحديقة، تبعني دوغ إلى المنزل، وما زال بصحبتي منذ ذلك الحين.»

«ما الذي جعل يومك ذاك كئيباً؟» وسرعان ما أسفت لذلك السؤال... لم تكن تريد أن تعرف أي شيء شخصي عنه. أن تعرف عنه قد يعني أنها تحفل به، ومع كل تطلبات عائلتها، ليس لديها الوقت الكافي للاهتمام بأي شخص آخر يدخل حياتها.

«عملي.» أجابها بذلك باختصار مما جعلها تتنهد بارتياح. ذلك لم يكن شيئاً خاصاً جداً.

«ماذا عن عملك؟»

اختفت إمارات العجرفة، واللامبالاة التي كانت تكسو وجهه دائماً. عوضاً عن ذلك، اسودّت عيناه وقطب جبينه مفكراً ليقول: «العمل في مدرسة في أحد أحياء نيويورك هو تجربة كل أستاذ، وكل مدير، سيمرّ بها على الأقل مرة أو أكثر. ذلك يجعلك تقدرين أي مدرسة تعملين بها بعد ذلك.»

«هل قمت بالكثير من الأعمال المثيرة كهذه في نيويورك؟»

فهز رأسه: «حاولت جاهداً أن أضيء شعلة، أن أثير رغبة الأولاد في التعلم. لسوء الحظ، كان لديهم أمور أكثر أهمية ليكافحوا من أجلها... مثل البقاء على قيد الحياة.»

«ماذا تعني؟» واقتربت منه أكثر، وقد جذبتها الحدة التي وتّرت وجهه.

في طرفة عين، نهض ومشى نحو حافة السطح محدقاً في الشوارع تحته دون تركيز. لوّح بيده ثانية، على ما يبدو لأولاد آخرين يمرون من هناك ليتأكدوا من أنه لا يزال يحترم تحديه.

لم تنقص حدة الانفعال المرتسمة على وجهه عندما تابع كلامه: «الأولاد في المدرسة كانوا مسلحين بشكل أفضل مما كان الشرطة في الشوارع. العصابات والمخدرات منتشرة ومتفشية في كل مكان. لقد جربت كل شيء استطعت التفكير به في محاولة لتغيير الأمور. حسناً، لقد لاقيت بعض النجاح، مع التلاميذ الذين كنت على صلة معهم. لكن ذلك كان كمحاولة الإمساك بقطرات الماء في منخل. فر العديد منهم. أردت أن أحدث تغييراً لكن، بعد ست سنوات من

المحاولة، أدركت أن المشكلة كبيرة جداً بالنسبة إليّ لمعالجتها.»

رأت ايفا الاحباط الذي وتّر كتفيه. نهضت واتجهت نحوه، ووضعت يدها بلطف على ذراعه. «باستطاعتك إحداث تغيير هنا، يا بريس. بواكينا بحاجة إلى شخص مثلك.»

«ماذا عنك أنت، ايفا؟ هل أنت بحاجة إلى شخص مثلي؟»

قبل أن تتاح لها الفرصة لتجيب، استدار حولها وأخذها من كتفيها، ولمعت عيناه عندما ضمّها بقوة إليه.

لم تتح لها الفرصة لتعد نفسها، ولا حتى الوقت لتقيم دفاعاتها ضد الهجوم الفوري على أحاسيسها. إشارات تحذيرية ومضت ولمعت في رأسها لكنها اختفت بسرعة في غمرة تأثرها.

«آه، ايفا.» همس، وهو يضمها إليه بقوة.

وضاعت... ضاعت بعطره، بلمسته. لقد كان الغذاء لروحها، الهواء لحياتها، وتشبثت به، وهي راغبة في كل ما يقدمه لها.

«هه! ايفا، هل أنت فوق السطح؟» وصل صوت كولين عن السلالم، ليعيد ايفا من غمرة أحاسيسها، إلى عالم الواقع.

الفصل الخامس

قفزت ايفا بعيداً عن بريس وكأنه الشيطان ذاته، وكأن نيران جهنم قد أشعلت عروقها. حدّقت به، وقد هالها السقوط السريع في جنون العاطفة.

«ايفا... هل أنت فوق السطح؟» تناهى صوت كولين مرة ثانية.

وهرعت ايفا نحو السلالم وأجابت: «إني هنا. اصعدي.»

واستدارت نحو بريس قائلة: «إنها أختي.» على ضوء المصباح استطاعت أن ترى بريق اللهو في أعماق عينيه. كان لهواً أطلق فيها شرارة الغضب.

هل يظن أن هذا الأمر لعبة؟ هل هو نوع التحدي الذي تحدث عنه تلك الليلة ـ إغواء إحدى معلماته؟

اتقدت احمراراً، ومرت بيدها بارتباك عبر شعرها الأسود القصير، وهي تدرك أنها تُضخم الأمر على الأرجح. كل ما فعلاه، هو أنه قبّلها قبلة صغيرة. لمست شفتيها وشعرت بانتفاخهما واحمرارهما. لم تكن قبلته بهذه البساطة.

وسألت كولين عندما وصلت إلى السطح: «ماذا بحق الشيطان تفعلين هنا؟» وتنقلت نظراتها بين بريس، وايفا. وهزت شعرها الأشقر المتماوج، وعيناها تلمعان بفضول. «لم أستطع تصديق ما سمعت عندما أصغيت إلى مجيب الهاتف حيث تقولين أنك موجودة على سطح المدرسة. ما الذي يحدث بحق السماء؟»

www.elromancia.com

فأجابت ايفا بسرعة: «لا شيء، إن السيد ماكسويل يشارك في تحد للطلاب وقد أسديت له خدمة بإحضاري بعض الطعام له.»

فقالت كولين بخفة: «ونحن أيضاً قد سمعنا عن تحدي السيد ماكسويل للطلاب.»

عقد بريس حاجبيه السوداوين بغرابة متسائلاً: «نحن من؟»

فأجابت كولين: «السيدة ورثنغتن وأنا.» ثم نظرت نحو ايفا. «لقد جلبت سيارتك، إنما كنت آمل أن أبقيها معي لبضعة أيام أخرى.»

فعبست ايفا وهي تقول: «كولين، إني حقاً بحاجة إلى استرجاعها.»

فقالت شقيقة ايفا الصغرى محتجة: «أجل، ولكنني أحتاجها.»

أخذت ايفا كولين من ذراعها وجذبتها نحو حافة السطح، بعد أن رمقت بريس بنظرة اعتذار، لتقول لها: «ألم تسددي رسوم مخالفة سيارتك بعد؟ لقد أعطيتك المال لمعالجة هذا الأمر، اعتقدت أنك فعلت ذلك صباح اليوم.»

«أعرف، أعرف ذلك ولكن كان عليّ استعمال المال من أجل شيء آخر. ألا أستطيع الاحتفاظ بالسيارة معي لبضعة أيام أخرى؟» بدا صوت كولين منتحباً، الأمر الذي يجعل ايفا دائماً تصرّ على أسنانها، وهي تقول: «لا أستطيع التصرف من دون سيارة، ولا أملك المال لمعالجة أمر سيارتي.»

تنهدت ايفا قائلة: «لن أقرضك المزيد من المال، هل تدفعين رسوم مخالفاتك؟» همست بذلك وهي تشعر

بالاحراج لتتحدث بهذا الأمر أمام بريس. لكنه، من جانبه، أشغل نفسه بتنظيف بقايا عشائهما.

«أعتقد أني أستطيع القيام بذلك في الصباح إن أقرضتني المال، رغم أنك تعرفين كم أكره التعامل مع هؤلاء الناس في دائرة السيارات.» وقاحة كولين المدلّلة جعلتها تعض على شفتها السفلى.

تجاهلت ايفا الأمر، ومدت يدها إليها. «هاتي مفاتيحي!»

ورمت كولين المفاتيح في يد ايفا، مع تنهيدة سخط.

وقالت ايفا: «سآخذك إلى المنزل.»

هزت كولين رأسها وسارتا عائدتين إلى حيث كان بريس يعيد ما تبقى من الطعام إلى السلة.

ابتسمت ايفا شاكرة وأخذت السلة منه. «أعتقد أنه من الأفضل أن أذهب. سآخذ كولين إلى المنزل.»

«شكراً، لاحضارك العشاء.» قال ذلك وعيناه تحدقان في وجهها وكأنه يقرأ أسراراً. رفع يده ليضعها على خدها، ثم تركها تسقط إلى جانبه وقد تنقّلت نظراته بين ايفا وكولين ليسأل: «هل كل شيء على ما يرام؟»

وقالت كولين وقد نفد صبرها: «هيا يا ايفا... فلنذهب.»

فابتسمت ايفا بحيرة لبريس قائلة: «سأراك غداً.» لوّحت له بيدها ومشت نحو كولين، وما لبثت الشقيقتان أن غادرتا معاً السطح متجهتين نحو السيارة.

وقالت لكولين بينما كانتا تغادران ملعب المدرسة: «إني أرجو من كل قلبي ألا تكوني على علاقة شخصية بهذا الرجل.»

www.elromancia.com

«لماذا؟» تساءلت ايفا وهي تعجب... لماذا تقول كولين هذا. فهي بالطبع لم تعر من قبل أي اهتمام في علاقات ايفا الشخصية.

«هناك شيء في ذلك الرجل لا يعجبني. بالإضافة لذلك، فالسيد بريس ماكسويل لن يمكث هنا طويلاً على الأرجح. السيدة ورثنغتن ليست راضية عنه شخصياً. إنه لم يكن حسبما توقعت أن يكون.»

فقالت ايفا محتجة: «لقد حصلت على سجله قبل أن تستخدمه، وتحققت من مؤهلاته. بالتأكيد كانت تعرف ماذا تتوقع.» وفوجئت بنفسها تدافع عن بريس.

«اعتقدت السيدة ورثنغتن أن الكثير من جنونه سببه أنه كان يعمل في مدرسة كبيرة في أحياء المدينة ولم تتوقع منه أن يأتي بذلك الجنون عينه إلى بواكينا.» وبدا الاحتقار الشديد طاغياً على صوت كولين.

فقالت ايفا: «ذلك ليس جنوناً، لقد تعهد لتوه أن يجد طريقة ليصل إلى الأولاد.»

فردت كولين: «من الأفضل أن يجد طريقة ليصل إلى السيدة ورثنغتن، أو أنه لن يمكث هنا.»

توقفت ايفا أمام المبنى حيث شقة كولين.

تابعت كولين: «كل ما أعرفه، انك ستكونين مجنونة أكثر منه بعشرات مرات لتقيمي علاقة مع رجل مثله.»

فأوقفت ايفا السيارة واستدارت لتنظر إلى أختها. «لماذا ترددين ذلك؟ بالتأكيد ليس هناك علاقة بيني وبين السيد ماكسويل.»

«إذاً، لماذا أخذت له العشاء؟»

«لأنه جاري ورئيسي ولأنه طلب مني ذلك.»

فقالت كولين غير مصدقة: «هذا محتمل.»

«ماذا يعني ذلك؟»

فتراقصت نظرة تأمل من عيني كولين الخضراوين على وجه ايفا: «كل ما أعرفه أنه عندما وصلت إلى ذلك السطح، كان هنالك توتر كبير بينكما. شعرت وكأني أوقفت معركة كبيرة، أو أنكما كنتما تحاولان إيحاء ذلك.»

«كولين!» شعرت ايفا أن وجهها يتقد احمراراً... شعرت بالذنب. «إن مخيلتك سرحت بعيداً.» وحوّلت نظراتها عن أختها الصغرى.

«ما أقوله أنك ستكونين حمقاء تماماً إن أنت تورطت معه. سيحطم فؤادك.» وفتحت باب السيارة وخرجت. «آه، بالمناسبة...» وانحنت لتنظر إلى ايفا. «والدتي لديها «بالوعة» مسدودة وتتساءل إن كان بإمكانك أن تمري عليها مساء الغد لإصلاحها.»

فهزت ايفا رأسها: «سأهتم بالأمر.»

«أيضاً، ستأخذني آيدي مساء الجمعة المقبل لتناول العشاء في مكان فاخر. أيمكنني استعارة ثوبك الأزرق لأرتديه؟»

«تعالي في إحدى أمسيات هذا الأسبوع وخذيه.» وراقبت ايفا أختها حتى اختفت داخل المبنى حيث شقتها، ثم انطلقت متوجهة نحو منزلها.

جنون مطبق ... فكرت ايفا بكلمات كولين بينما كانت تحمل العشاء إلى بريس مساء اليوم التالي.

www.elromancia.com

نعم، ستكون حمقاء إن هي أقامت علاقة مع رجل مثل بريس. علاوة على الواقع، حسبما قالت كولين، فهو لن يمكث طويلاً هنا، كان هنالك حقيقة أنهما مختلفان جداً.

مع تلك الأفكار في رأسها، تسلقت السلم إلى السطح، وقد تصلبت مشاعرها تجاه البهجة التي كانت تثيرها فيها رؤيته دائماً.

«لقد ابكرت اليوم.» أدلى بهذه الملاحظة، وهو يأخذ الطعام الذي قدمته إليه: «ما نوع الطعام الشهي الذي أحضرت لي اليوم؟»

أجابت ايفا وهي تعجب، بينها وبين نفسها من انحصار تفكيرها في ما حدث بينهما أمس: «سندويشات لحم، رقاقات البطاطس، وقطعة كبيرة من الكاتو بالشوكولا.» ما الذي كان سيحدث لو أن كولين لم تظهر في الوقت المناسب لتقاطعهما؟ كانت الفكرة مثيرة... ومخيفة.

وقالت آملة أن لا يبدو صوتها مختنقاً كما شعرت به فجأة: «لا أستطيع البقاء إنني في طريقي إلى منزل والدتي. لديها بالوعة مسدودة تحتاج إلى إصلاح.»

نظر بريس إليها بتمعن. كانت تحمل نفس التعبير الذي حملته للحظة الليلة السابقة، وكأنه كان يحاول أن يكشف أسرار نفسها.

«سمكري العائلة، مؤجر السيارات المحلي، الممول، هل تستغلك عائلتك دائماً؟»

«ماذا؟» سألت وهي تحدق فيه بارتياب.

فأجاب وهو يمسك بيدها يجذبها لتجلس إلى جانبه على كيس النوم: «لقد سمعتني.»

«عائلتي لا تستغلني، حسناً لربما يفعلون ذلك قليلاً، لكنني لا أمانع، أعني، لا أمانع كثيراً...» وقطعت كلامها، محبطة لعدم قدرتها المحافظة على سرية تصرفات الأسرة. أخذت نفساً عميقاً وبدأت من جديد: «عندما توفي والدي منذ عدة سنوات أصاب والدتي وكولين نوع من الانهيار. فبدا طبيعياً أن يعتمدا عليّ أكثر من اللزوم بقليل.»

«مما رأيته ليلة البارحة مع أختك، تبين لي أنهما يعتمدان عليك أكثر من اللزوم بكثير.»

لوّحت ايفا يدها بغضب. «ماذا تعرف أنت عن الأسرة والمسؤوليات؟ معظم الناس في بواكينا يعتقدون أن لا أسرة لك.»

مال بريس برأسه إلى الوراء وأخذ يضحك، غير دهش من أن يعلم ماذا يفكر أهل المدينة نحوه. الحقيقة، أنه لن يعتاد بسرعة على هذا المكان الأقل تقدماً حيث تروج الإشاعات، وعقلية المدينة الصغيرة بواكينا.

نظر نحو ايفا باتزان، ملاحظاً كيف أن ضياء المساء الخفيف أحاط وجهها بهالة ذهبيّة هل تعرف كم هي جميلة؟ لا يعتقد ذلك، كان هناك نكران للذات فيها، وافتقار لحضورها الذاتي الأمر الذي كان فاتناً.

لكن ما أقلقه هو الاهتمام الذي شعر به تجاهها عندما تذكر المشهد الذي شهده بينها وبين كولين، كان ذلك يتفق مع الإشاعات التي سمعها فيما يختص بإيفا وعائلتها، أثار ذكريات تتعلق بماضيه هو.

«ايفا.» ومدّ يده وأخذ يدها مستمتعاً باحتوائها في يده الكبيرة. «على عكس الاعتقاد السائد فإنه لديّ عائلة.

www.elromancia.com

والدتي ووالدي كانا إنسانين معطائين رائعين. في الحقيقة كان العطاء تقريباً السبب في تحطمنا جميعاً.»

«ماذا تعني؟» سألته وهي تسحب يدها من يده، فقد كان من الصعب عليها التركيز على ما يقوله وهي تشعر بحرارة يده حول يدها. علاوة على ذلك، فقد أثارت كلماته اهتماماتها.

تردد للحظة طويلة، وقد سرحت عيناه، وكأنه كان يحاول الوصول إلى ذكرى ضائعة تقريباً. «كنت طفلاً صغيراً. كانت والدتي تقارب الأربعين من العمر، ووالدي كان يبلغ الخمسين. لقد حاولا لسنوات عدة إنجاب الأولاد، وعندما ولدت أخيراً كانا فرحين جداً بي، لقد أحباني حتى الجنون.»

وابتسم. كانت ابتسامة رقيقة، لم تكن هي المقصودة بها بل كانت انعكاساً لشعوره نحو أهله. وخفتت الابتسامة تدريجياً. «كنت فاسداً، وسرعان ما أدركت أنني إذا ما اقترفت غلطة، فإن والديّ سيفعلان أي شيء بوسعهما لإصلاحها.»

نهض، وقد امتلأ رأسه بذكريات الطفولة. لم تكن ذكريات سارة. «كلما ازدادت أخطائي كلما عمل والداي بجهد أكبر لإبعادي عن المتاعب. وبدأت أخطائي تكبر، كلما تقدمت في السن.» وتنهّد. «آه، التخلف عن الذهاب إلى المدرسة، التدخين في الحمام، مخالفات تجاوز السرعة، الهرب مع مجموعة من الطلاب غير المهذبين تماماً. أشياء تبدو طبيعية؟»

هزت ايفا رأسها على مضض، وفكرت في كولين على الفور. في السنوات الأخيرة، بذلت ايفا مجهوداً كبيراً في

إصلاح أخطاء كولين. لم تكن مشاكل ضخمة، كانت مجرد اضطرابات صغيرة رفضت كولين تحمل مسؤوليتها.

«على كل حال، عندما أصبحت راشداً في مدرسة ثانوية تعقدت الأمور، ووجدت نفسي موقوفاً وأودعت السجن.»

شهقت ايفا. «ما السبب؟»

ابتسم بريس. «لم يعجبنا لون نُصب في إحدى الحدائق العامة في الجوار فقررت مجموعة منا رشّه بلون زهري ساطع وقد ضُبطنا بالجرم المشهود.»

«بريس، ليس عليك أن تخبرني بكل هذا.» ونهضت وتوجهت إلى حيث يقف. «كنت صبيا، وقد أخطأت. كلنا أخطأنا عندما كنا صغاراً.»

وهزّ رأسه: «أرجوك، دعيني، أنهي كلامي. أعتقد أنه من الضروري أن تسمعي هذا.» وتابع: «بقيت في السجن، منتظراً أن يأتي والداي ويدفعا الكفالة لإخراجي وينتهي كل شيء. على كل حال. لقد فعلا ذلك دائماً في الماضي، لكن هذه المرة لم يأتيا.. انتظرت، وانتظرت لكنهما لم يأتيا.»

«ماذا فعلت؟»

«غضبت في البداية. لم أستطع تصور امتناعهما عن الحضور لإصلاح ما اقترفت.» وللحظة، انعكس في عينيه اضطراب الماضي الذي في داخله ورأت ايفا لمحة عن الصبي الذي كان عليه في الماضي، واتقدت نيران الثورة والعصيان في عينيه. ثورة فِتْية لا يسيّرها الادراك والحكمة. ثم رفع كتفيه ورأت ايفا الرجل الذي أصبح عليه الآن، فالثورة ما زالت تكمن في داخله، لكنها أصبحت مختلفة الآن. إنها مجبولة بالاحترام والاهتمام.

www.elromancia.com

«أدى الغضب إلى الخوف، وأخيراً إلى القبول. بقيت في السجن ثلاثة أيام، وخلال ذلك الوقت فكرت كثيراً. والدي ووالدتي جعلا العبث أمراً سهلاً بالنسبة إلي، إنما أخيراً، كان عليّ أن أتحمل مسؤولية نفسي وأعمالي.»

مشى عائداً إلى كيس النوم وجلس عليه، منتظراً أن تنضم إليه ثانية قبل أن يتابع كلامه: «أخيراً عندما جاء والداي إلي، نظرت إليهما، ولأول مرة أنظر إليهما حقيقة. أيقنت كم كانا متعبين، وكم أجهدا نفسيهما في سبيلي. منذ تلك اللحظة، تبدّلت حياتي. تعلّمت أن أتقبل عواقب أعمالي. واكتسبت احترام ذاتي. تعلمت أنني لست بحاجة لأعتمد على أحد إنما فقط على نفسي، واستعاد والداي حياتهما.»

«بريس، إني لا أرى ما هذا...»

فقاطعها وهو يضع يديه على كتفيها ويبتسم لها في رقة جعلت أصابع قدميها تتقلص والحرارة تسري في جسمها.

«إنك تفعلين الشيء ذاته مع كولين كما فعل والداي معي. إنك تشجعينها على عدم تحمل المسؤولية.»

ابتعدت عنه، وقد أحرجها قليلاً ما قاله. عدم تحمّل كولين المسؤولية ليس خطأها. ما الذي جعل بريس ماكسويل يعتقد أنه يعرف ما الذي يحصل مع عائلتها؟

«أوه، ايفا، إني أرى فيك الحياة... الحياة الواعدة.» ومدّ يده، وربت بخفة على جانب وجهها. «لا أريدك أن تكوني مثل والديّ فتستيقظي يوماً لتجدي أن الحياة قد مرت، وأنك قد أعطيت كل ما عندك للغير ولم تبق شيئاً لنفسك.»

كان من الصعب عليها الابقاء على غضبها فيما انصب اهتمامه الكلي عليها. وحاولت أن تصد رغبتها في لثم

أصابعه فيما كانت تلك الأصابع تتحسس شفتها السفلى.

«يبدو لي أن والدتك وشقيقتك يمكنهما محاولة احترام الذات، ليكون باستطاعتك أن تعيشي حياتك. حاولي، ايفا، ابدأي العيش لنفسك، الآن، قبل أن يستنفداك. إنه الشيء الأفضل الذي تقومين به من أجل نفسك كما أنه الشيء الألطف الذي تقومين به من أجلهما.»

كانت تعرف أنه سيضمّها إليه. كان ذلك واضحاً في عينيه. نهضت بسرعة وابتعدت عنه. إنها تحتاج وقتاً للتفكير، وقتاً لتقييم ما قاله، وهذا ما لا تستطيع القيام به إن كان يقبّلها.

«إن الوقت أصبح متأخراً. ستكون والدتي في انتظاري.» أمسكت حقيبتها وتوجهت نحو السلم.

«ايفا؟»

توقفت واستدارت لتنظر إليه.

«يمكنك دائماً البدء في صفحة جديدة الآن وهنا. اتصلي بوالدتك واطلبي منها أن تحضر سمكرياً ثم عودي إلى هنا وابدأي حياتك حقاً.» ولمعت عيناه بخبث أدركت هي الآن أنه جزء منه كشعره الأسود وعينيه الزرقاوين الرائعتين. «هل حدث أن قبّلت أحداً في خيمة على سطح مبنى إحدى المدارس.» وأظهرت ابتسامته دعوة واضحة جداً.

«أنت، سيد ماكسويل رجل عابث جداً.» بهذه الكلمات نزلت ايفا على السلم، وقد أشعلت قلبها ضحكة بريس طوال الطريق نحو سيارتها.

فكرت ايفا في بريس، في طريقها إلى منزل والدتها. لقد أثارها، أربكها... لكن، أكثر من أي شيء آخر، لقد أخافها.

لقد عرض عليها أشياء كانت خائفة من قبولها. كانت عيناه تحملان من القوة والعاطفة ما جعلها تدرك أنها قد تتغيّر إلى الأبد إذا كانت من الحماقة بحيث تتفاعل معه. أرعبها التغيير. مثل بريس لم يكن التغيير متوقعاً.

أوقفت سيارتها عند مدخل منزل والدتها وقد لاحظت أن العشب بحاجة إلى تشذيب وأن أحواض الزهور تحتاج إلى عناية. كانت دائماً تخاف من إضافة هذه الأعمال إلى جدول أعمالها المليء أصلاً.

بتنهيدة صغيرة، أمسكت زجاجة السائل المنظف التي اشترتها وتوجهت نحو المدخل الأمامي.

آه، ايفا، عزيزتي، ظننت أنك لن تأتي.» واستقبلتها والدتها بقبلة على وجنتها: «إني لا أعرف ماذا حدث «لبالوعة» المطبخ. إنها لا تعمل كما ينبغي.» أرشدت ايفا إلى داخل المطبخ، ثم إلى حوض الغسيل حيث ينتظر حوض من الماء الكريه.

بعد قراءة التعليمات على جانب الزجاجة، أفرغت ايفا المحتويات في المياه الآسنة. «الآن، سنتركها لمدة نصف ساعة لكي يتم التفاعل ثم نزيلها بالماء الساخن. ما رأيك بتناول فنجان شاي خلال انتظارنا؟»

«آه، نعم، سيكون ذلك رائعاً.» جلست فيولت إلى الطاولة بينما ملأت ايفا ابريق الشاي ووضعته على النار.

«هل تحدثت إلى كولين اليوم؟» سألت ابنتها التي كانت تخرج الفناجين وأكياس الشاي: «كنت أتساءل إن كنت اهتممت بأمر سيارتها.»

«لقد فعلت. لقد اتصلت بي خلال ساعة غدائها.»

فابتسمت فيولت «إنها بالتأكيد تحب عملها مع السيدة ورثنغتن.»

«إني آمل فقط أن يستمر عملها لمدة أطول من وظائفها السابقة.» أجابت ايفا بذلك بينما كانت تحضر الحليب والسكر وتضعهما على الطاولة.

فابتسمت فيوليت بتسامح. «ايفا، إنني أعترف أن كولين قد واجهت بعض المشاكل في الاستقرار في عمل تحبه.»

«لكن كولين كانت دائماً حرة.»

أجابت ايفا بجفاء: «أمي، هنالك فارق بين أن نكون أحراراً وبين أن نكون سطحيين.»

فقالت فيوليت معاتبة: «ايفا، لا تكوني قاسية على أختك.» وكان هذا ما توقعت ايفا سماعه تماماً. كانت مناقشة قديمة، تتردد دائماً، مع تعديلات بسيطة.

أخذ ابريق الشاي بالغليان، وابتلعت ايفا تنهيدة. ثم سكبت الشاي وانضمت إلى أمها إلى الطاولة.

«في هذا الوقت من السنة كان والدك دائماً يعمل في الحديقة.» حدّقت فيوليت إلى الخارج من نافذة المطبخ ودمعت عيناها الزرقاوان. «أحب ذلك الرجل أحواض الزهور. كم أتمنى لو بقي على قيد الحياة.»

بسطت ايفا يدها عبر الطاولة وأمسكت يد أمها برقة وضغطت عليها: «أمي، لقد توفي والدي منذ ثلاث سنوات ولن يعود ثانية. وأنت بحاجة لأن تتابعي حياتك.»

«إنني أشعر بالوحدة. إني أعيش وحيدة في هذا المنزل القديم الكبير.» نظرت إلى ايفا. «إني لا أعرف لماذا لا

تعودين للعيش هنا. عندها لن أشعر بهذا القدر من الوحدة. وتكونين إلى جانبي عندما احتاجك.»

قاومت ايفا شعوراً بالموافقة من أجل إرضاء والدتها فقط على الصعيد العاطفي. كانت ترغب في أن تجعل الأمور سهلة قدر المستطاع لوالدتها. لكنها تنكرت حديثها مع بريس قبل قليل، وأدركت أن عودتها إلى المنزل ستكون أسوأ شيء ممكن حصوله لكليهما.

«أمي، ربما يكون البديل بيع هذا المنزل والانتقال إلى شقة صغيرة.»

«آه، يا إلَهي إن بعت هذا المنزل سيغضب والدك في قبره.» وبدت فيوليت مذعورة لهذه الفكرة.

فقالت ايفا بهدوء: «أمي، والدي يريدك أن تكوني سعيدة. وهذا المنزل كبير جداً بالنسبة إليك. هناك العديد من الناس المتقاعدين في بنايات هاسيندا. ولقد سمعت أن لديهم كل أنواع النشاطات الاجتماعية كما أنهم يقومون برحلات جماعية بإمكانك إقامة صداقات جديدة.»

«آه، هراء، إني لا أحتاج إلى صداقات جديدة. أنتما لي وهذا كل ما أحتاجه.» وابتسمت فيوليت لابنتها ورشفت الشاي من فنجانها.

أعادت ايفا الابتسامة بمثلها، وهي تقاوم الشعور الذي كانت قد أخمدته في داخلها والذي كان يختفي تدريجياً.

في وقت متأخر، وبينما كانت في طريقها إلى المنزل، استعادت في ذهنها النقاش الذي جرى بينها وبين والدتها. وتملكها العجب... فهي منذ تحدثت مع بريس، قد لاحظت أشياء حول علاقتها مع والدتها وشقيقتها لم تلحظها من

قبل. ما أخبرها به بريس عن حياته أعطاها بعثاً جديداً تطل به على حياتها. وقررت في تلك اللحظة أن بريس لربما كان على حق. الآن يجب أن تقرر ماذا عليها أن تفعل حيال ذلك الأمر.

www.elromancia.com

الفصل السادس

فكرت ايفا في عائلتها، طوال اليوم التالي، مترددة بين ميلها إلى الراحة والأمان من الوضع الراهن، وبين معرفتها أن والدتها وكولين تقودانها ببطء نحو الذبول.

الآن، وقد فكرت بالأمر، العلاقة الجدّية الوحيدة التي أقامتها مع دوين هيلتون، أستاذ الرياضة في المدرسة، لم تنجح لأن دوين حاول أن يقوم بدور ثانوي تجاه طلبات عائلتها. عندما وجّه إليها إنذاراً، إما هو أو عائلتها. كان الاختيار سهلاً فقد قالت لدوين الوداع.

لكنها الآن أدركت أنها تريد من الحياة أكثر مما تستطيع أمها أو شقيقتها تقديمه لها. كان هناك شعور بالفراغ والوحدة يعتريها في الأوقات العصيبة من الليل والنهار. أوقات كانت تتمنى فيها أن تعد القهوة لشخصين. وكم تاقت إلى أن يشاطر المساحة المتبقية من خزانتها شريك تُعلق ثيابه إلى جانب ثيابها. كانت تمرّ ليالٍ تعاني فيها من نقصان شيء لا تعرف كنهه.

سألتها مارغي عند وقت الغداء، وهي تضع صينية طعامها على الطاولة قرب صينية ايفا: «ما الذي يحزنك؟»

«لست حزينة، إنني أفكر فقط.» أجابت ايفا وهي تفسح المكان لمارغي لتجلس إلى جانبها على المقعد المستطيل فسألتها مارغي وهي تنتقي بانتباه الجزر من السلطة: «بماذا تفكرين ؟»

«بالأسرة.»

«آه، لا عجب أنك تبدين حزينة.» أجابت مارغي بذلك وقد بدأت تفصل الكرفس عن باقي السلطة.

وراقبتها ايفا للحظة. كان ذلك عادة يومية. إن مارغي تبتاع دائماً هذا النوع من السلطة حيث تعمد إلى تفريق كل نوع منها على حدة.

«مارغي... لقد توفي والدك منذ عدة سنوات، أصحيح هذا؟» هزت مارغي رأسها إيجاباً، وتابعت ايفا: «هل تعتمد والدتك عليك بالفعل؟»

ضحكت مارغي. «ليس عند والدتي الوقت لتعتمد على أي كان. لديها النادي وعملها التطوعي. إنها مشغولة أكثر مني بمرتين.» تنهدت ايفا، ونظرت مارغي إليها بتأمل. «هل تثير والدتك جنونك؟»

«ليس جنوناً، على الأقل، ليس تماماً. كل ما في الأمر أنها منذ وفاة والدي، أبقت نفسها بعيدة عن كل الناس باستثنائي، إنها لا تخرج من المنزل، وليس لديها أصدقاء، تقول إنني كل ما تحتاجه.»

صفرت مارغي بصوت خفيض. «يبدو ذلك شؤماً.»

فقالت ايفا بسرعة: «لا تسيئي فهمي. إنني أحب أمي وأختي كولين، وسعيدة بتعاطفنا نحن الثلاث، إنما بدأت أتساءل عما إذا كان تعاطفنا هذا زائداً عن الحد.»

إذاً، ماذا ستفعلين حيال هذا الأمر؟»

هزت ايفا كتفيها استهجاناً. «هذا ما كنت أفكر به طوال النهار. أعتقد أني سأقوم ببعض التغييرات.»

«بما أنك تتحدثين عن التغييرات، هل سمعت عن

المذكرات التي صدرت عن السيد ماكسويل هذا الصباح؟ كل شخص حصل على نسخة في صندوق بريده.»

هزت ايفا رأسها. «لم أذهب إلى المكتب بعد لأحضر بريدي.»

«يريدنا السيد ماكسويل أن نحضر دروساً لأسبوع مقدماً بدلاً من التحضير اليومي، وأنه سيعقد اجتماعات أسبوعية إلزامية لمناقشة كيفية معالجة المشاكل وبلوغ الأهداف.» توقفت مارغي للحظة حتى تمضغ لقمة من السلطة، ثم تابعت بصوت خافت: «لقد سمعت الكثير عن التذمر من العمل والوقت الإضافي من بعض المعلمين الآخرين.»

ابتسمت ايفا. «عندنا متذمرون دائماً في هذا المبنى.»

«نعم، لكن هؤلاء المتذمرين هم بعض التابعين للسيدة ورثنغتن.» وابتسمت مارغي ابتسامة عريضة. «لكن عندي شعوراً أن بريس ماكسويل يستطيع الاهتمام بنفسه، ألا تعتقدين ذلك؟» واتسعت ابتسامتها. «لقد ذكرتني، لم تخبريني عن قصة تبادل الملابس بينك وبين السيد ماكسويل.»

«ولا أنوي أن أخبرك الآن.» وضحكت ايفا لمظاهر الخيبة التي ظهرت على وجه مارغي. «هيا، من الأفضل أن ننهي طعامنا. لا زال عندنا باقي النهار لنتحدث بذلك.»

في وقت متأخر من ذلك المساء، ذهبت ايفا إلى الشقة المجاورة لتطعم دوغ، ثم قادت سيارتها نحو مطعم للهمبرغر وأحضرت عشاءً لبريس. لم تحضر شيئاً لنفسها، فقد قررت ألا تبقى هناك لتناول العشاء معه. أن تبقى معه

لوحدهما كان أمراً خطيراً بالنسبة إليها. كان هناك شيء ما أزعجها، شيء يتعلق به جعلها تفكر بأشياء من المستحسن لو أنها لا تفكر بها.

لم تره طوال النهار، ولم تستطع فهم الطريقة التي هبط فيها قلبها عندما رأته. عندما وصلت إلى السطح، وقد تجعد وجهه في ابتسامة لاستقبالها، رقصت غمازتاه على وجنتيه، وقالت بخفة، وهي تمسك بكيس الهمبرغر والبطاطا المقليّة: «العشاء.»

«شكراً.» أخذ الكيس منها، وقد لاحظت أن شعره رطب ورائحة صابون النعناع المنعشة ما زالت تفوح منه.

وقالت معلقة: «إلا إذا كانت تلك الخيمة الصغيرة قد أصبحت مجهزة بحمام فإنك قد غششت.»

«مذنب حسب الاتهام. لقد تسللت إلى غرفة الصبيان المقفلة وأخذت «دوشاً» سريعاً. تعالي واجلسي.» واتجه إلى كيس النوم حيث جلسا في الليالي السابقة.

«في الحقيقة يجب أن أعود إلى المنزل..» رائحته المثيرة ودفء نظرته كانا يرسلان إشارات إلى دماغها تنذرها بالخطر.

فقال موبخاً: «تلك واحدة من الكلمات السيئة التي عليك حقاً شطبها من مفرداتك.»

«أية كلمة؟»

«كلمة يجب. يجب أن أفعل هذا، أو يجب أن أفعل ذلك. إنها واحدة من تلك الكلمات الملزمة والمحدودة.»

«لا يهم أية كلمات أستعمل، فلا زلت مضطرة أن أعود إلى المنزل في الحال.»

«لماذا؟ ماذا ينتظرك هناك؟ أرجوك، لا تغادري الآن.» ومدّ يده يأخذ يدها قائلاً: «على الأقل ابقي حتى أنهي طعامي. إن الأمسيات والليالي تطول هنا وأنا وحيد. إني حقاً أستمتع برفقتك.»

لم تستطع ايفا أن تقاوم الاستغاثة في صوته. ورغم القرار المفضل الذي اتخذته، سمحت له بأن يقودها إلى كيس النوم، حيث جلست إلى جانبه.

قال وهو يفتح كيس الهمبرغر: «أشعر أنني في عزلة تامة هنا. أخبريني كيف كان يومك، زوديني بالأخبار.»

أخبرته القليل عن غرفة صفها... عن التلامذة الذين سبّبوا لها مشاكل والآخرين الذين أبلوا بلاء حسناً. كان من السهل التحدث معه. لم تكن متأكدة ما إذا كانت طبيعة الرجل نفسه أم أن طبيعة الجلسة هي التي جعلت الحديث يجري بطلاقة.

كان هناك أمر حميم في مشاركة سطح المبنى، شعور بالعزلة عن باقي المدينة، عن كل العالم.

«جوني كليفنغر ليس بالولد السيء حقاً، لكنني أعاني من متاعب في الوصول إليه، فهو إما يغفو أو يقرأ مجلة عن الدراجات النارية في الصف.» وأنهت ايفا كلامها بتنهيدة من الاحباط.

فقال بريس: «لقد دهشت عندما علمت أن المدرسة لا تعطي دروساً في عالم السيارات أو إصلاح المحركات.»

«لم يكن عندنا ميزانية تسمح بإعطاء دروس كهذه.»

«ذلك سيّء جداً. ربما كان ذلك النوع من الدروس، مناسب لصبي مثل جوني ليتفوق فيها.» قدم لها بريس قطعة من

البطاطا المقلية. أخذتها منه، وتابع كلامه: «لقد رأيت جوني ومجموعة الأولاد الذين يعاشرهم إنه وأصدقاؤه هم الأشخاص الذين أود الوصول إليهم.» وتنهّد قائلاً: «إنهم ينكرونني بنفسي والمجموعة التي اعتدت أن أعاشر. نتسكع دون أن نفعل شيئاً، دون أي عمل يملأ وقتنا. تلك كانت بداية في السير على طريق المتاعب.»

«شكراً لله أنك تداركت نفسك قبل أن تغوص في المتاعب.» لاحظت ايفا نبرة إعجاب تظهر في نبرة صوتها.

«لا زلت أرغب في الوصول إلى هؤلاء الأولاد قبل أن يخطوا خطوة على طريق الكارثة.»

«لكن كيف ستصل إليهم؟»

ابتسم بريس ابتسامة عريضة. «لو أنني أعرف ذلك، لما كنت جالساً على هذا السطح. بل كنت أقوم بأي عمل يعيد هؤلاء الأولاد إلى الصواب.»

رفعت ايفا ركبتيها نحو صدرها ولفت يديها حولهما، وهي تنظر إليه بإمعان. «أي نوع من الأمور قمت بها للوصول إلى الأولاد في نيويورك؟»

اندفعت منه تنهيدة بينما كان يعقد حاجبيه. «لقد جربت كل شيء. قمت باعتصامات، استأجرت مناطيد هوائية دعوت الأولاد للركوب فيها، أقمنا حفلات راقصة وسباقات ملأى بالحوية. لقد ارتديت قبعة فلكلورية من أجل أحد البرامج وحملت عكازاً وغنّيت أغنية خفيفة ورقصت.»

«أغنية خفيفة؟» وابتسمت ايفا للفكرة التي رسمتها عنه. لا بد أنه بدا رائعاً وهو يرتدي قبعة وذيلاً. «كم كنت أرغب في رؤية ذلك.»

فهزّ رأسه إيجاباً وقد بدت غمازتاه ثانية. «كان مشهداً بشعاً. كانت مراهنة شخصية مع أحد الطلاب كنت مخيفاً، لكنني ربحت الرهان، وهكذا وعدني الطلاب ألا يتركوا المدرسة بعدها.»

«إذاً لقد أحدثت تغييراً هناك.»

«قليلاً، وأريد أن أحدث تغييراً هنا. عدة مشكلات واجهتها مع الطلاب في نيويورك موجودة هنا أيضاً في بواكينا... اللامبالاة، عدم المصداقية، والحاجة إلى مصدر رضى فوري. أريد أن أحدث تغييراً هنا، لكنني أملك شعوراً بأنني أواجه نظاماً لا يرغب في التغيير.»

ونظر إليها في فضول. «هل السيدة ورثنغتن تدير المدارس دائماً؟»

«منذ زمن طويل كما أذكر. ليس لديها الكثير في حياتها غير ذلك. لقد توفي زوجها منذ سنوات، وأصبح نظام المدرسة هاجسها الوحيد.»

«إن أفكارها قديمة. إنها تدير المدرسة وكأنها غرفة واحدة تحوي اثني عشر تلميذاً.» توقف للحظة ليضع قطعة بطاطس مقلية في فمه. «لدي شعور بأن السيدة ورثنغتن قد حصلت على أكثر مما أنفقت عليه عندما استخدمتني.»

قالت ايفا في صدق: «يدهشني استخدامها لك منذ البداية.»

«سجلّي يبدو جيداً. معدلات الامتحانات الرسمية ارتفعت إلى الثلاثين بالماية تقريباً خلال وجودي في نيويورك.» وأطرق مفكراً. «أعتقد أن السيدة ورثنغتن تظن أن باستطاعتها السيطرة علي، رغم تعقبها لسجلاتي،

ويمكنها ذلك، إلى حد ما. ولكن، إن استطعت أن أحرّك الطلاب حتى وإن تطلب ذلك وقوفي على رأسي في ماين ستريت، فإن ذلك ما سأفعله تماماً.»

هزت ايفا رأسها، وهي غارقة في التفكير مرة ثانية. لكن هذه المرة لم تكن أفكارها حول المدرسة أو الطلاب بل كانت أفكارها تدور حول محادثتهما السابقة وملاحظات بريس عن عائلتها.

وابتدأت كلامها بتردد: «كنت أفكر في بعض الأمور التي قلتها لي ليلة البارحة. أعتقد أنني أصبحت شبه مهيئة لأحدث بعض التغيرات في حياتي.»

قطب بريس حاجبيه، وقد ظهرت ابتسامة خجولة على فمه. «هل يعني هذا أنك ستزحفين إلى هنا وتشاركينني خيمتي؟»

اتقدت وجنتا ايفا احمراراً. «لا، ليس هذا ما أعنيه، إني أتحدث عن تغييرات تجاه عائلتي. أعني التخلي عن بعض المسؤوليات والتنبّه إلى نفسي.»

هزّ بريس رأسه إيجاباً. «أعتقد أن ذلك لن يسعدك وحدك، وإنما سيسعد شقيقتك ووالدتك أيضاً.»

فسألته بجفاء: «أيمكنني أن أحصل على ذلك خطياً؟»

فابتسم وأخذ يدها بيده. ليجري تيار من الحرارة فيها وكأن حرارة جسمه تتدفق عبر يده لتلتقي مع حرارة جسمها. «ستنجحين بذلك، يا ايفا. قد يكون التغيير مثيراً جداً.»

فأجابت: «ما هو مثير بالنسبة إليك هو مرعب بالنسبة لي.»

فقال برقة: «لا ينبغي لك أن تخافي يا ايفا. ليس عليك أن تقومي بأي عمل وحدك. سأكون إلى جانبك دائماً.» وفيما رفع يدها ليقبلها، عرفت ايفا أنها تتأرجح على الحافة لتسقط يائسة في حبه. وأرعبتها هذه الفكرة.

مساء اليوم التالي، جلست ايفا إلى طاولة المطبخ تحاول تصحيح الأوراق، لكن فكرها كان يُعيد صورة تلك اللحظات على السطح مع بريس.

إنها في التاسعة والعشرين من العمر، ولم يؤثر رجل في حياتها بهذا العمق، ولم يحدث في حياتها أن أثار فيها الجلوس إلى جانب رجل مثل هذا الشعور بالتوقد. لم تكن تعتبر نفسها امرأة شهوانية. لكن شيئاً ما في بريس لمس وتراً حساساً في نفسها، وتراً لم يلمسه رجل من قبل.

نهض دوغ من مكان استراحته عند قدميها ووضع رأسه على ركبتيها، وعيناه الحزينتان تنظران إليها في تأثر.

فمدت يدها تحك الكلب خلف أذنه السليمة قائلة: «أعرف، أعرف، إنك تفتقده.»

أيقظها دوغ ذلك الصباح وهو يعوي عواء يفتت القلب من الحزن. بقي عواؤه مستمراً حتى ذهبت إلى باب الشقة المجاورة وأعادته معها إلى شقتها وهكذا فإن فلافي قد أبقيت في غرفة النوم وشعر دوغ بالراحة إلى جانب ايفا.

غريب... لم تعتبر ايفا نفسها يوماً مهتمة بالكلاب. لم تهتم كثيراً بهذه المخلوقات من قبل. لكن كان هناك شيئاً في دوغ يناشدها. ومثل سيده، عرف دوغ كيف يحتل منزلة خاصة في قلب ايفا.

نظرت إلى النافذة، وقد أثار انتباهها فجأة صوت غريب. انتصبت أذنا دوغ وأخذ يعوي. نهضت ايفا عن الطاولة ومشت نحو النافذة ممعنة النظر من خلال ظلمة الليل.

هطل المطر في المساء كضيف غير مدعوٍ إلى حفلة عيد ميلاد. أمر غير متوقع إطلاقاً، شيء مزعج.

وقفت ايفا إلى جانب نافذتها وأخذت تراقب هطول المطر الغزير وقد قطب القلق حاجبيها عندما فكرت أن بريس على سطح المدرسة. حتى ذلك الوقت كان الطقس جيداً، أيام مشمسة دافئة وليالٍ ساطعة بالنجوم. كانت تعرف أنه لن يتراجع عن العهد ويغادر السطح بسبب هطول المطر، ولكنها عرفت أيضاً أنه لم يكن مستعداً لهبوب العاصفة.

ابتعدت عن النافذة، وهي تتساءل عما إذا كانت خيمة بريس لا ينفذ إليها الماء. حتى وإن كانت كذلك، فإنه على الأرجح ليس لديه أي ملابس للشتاء والليل يُنذر بأن يكون بارداً ورطباً. سيكون مجنوناً إذا هو بقي في مكانه على السطح، سيكون معرضاً للمرض وللإصابة بذات الرئة.

تنهدت بسخط، واتجهت نحو المطبخ حيث فتحت علبة حساء. أفرغت المحتويات في مقلاة ووضعتها على النار لتسخنها، ثم غادرت المطبخ إلى الرواق حيث الخزانة. بحثت فيها، وجدت سترة جلدية قديمة ذات فراء وقبعة كانت بخسة الثمن إنما صالحة للاستعمال قياسها يلائم جميع القياسات. اشترتها منذ سنوات لترتديها أثناء قيامها بالتمارين الرياضية خارج المنزل. وضعتها في حقيبة كبيرة وأضافت إليها حراماً كبيراً، ثم عادت إلى المطبخ تحرك الحساء.

جلس دوغ عند قدميها يراقبها بفضول وهي تفرغ الحساء في «الترموس» وقالت وكأنها في حاجة لأن تبرر عملها للحيوان: «لا أريده أن يمرض.»

«ليس ذلك بالأمر المهم.» وأضافت وهي تأخذ معطفها وتمسك «الترموس» والحقيبة: «كنت سأفعل ذلك لأي كان.» كانت تحدث الكلب، الذي مال برأسه إلى جهة واحدة، وكأنه يحاول أن يفهم ما تقوله.

بعد لحظات، بينما كانت تقود سيارتها إلى المدرسة، ركّزت كل انتباهها إلى الطريق، فقد كان من الصعب استعمال لباقتها مع هذا الوابل من المطر. أوقفت السيارة في ملعب المدرسة وأطفأت أنوارها، فغرق المكان في الظلام.

«ماذا تفعلين هنا، ايفا؟» سألت نفسها، ولم تتحرك لتخرج من السيارة. ماذا تفعل باحضارها واق للمطر وحساء لرجل من المفترض أن لا علاقة تربطها به؟ رجل يختلف عنها كل الاختلاف؟ أي سحر كان في العمل، يدفعها إليه، ويسمّرها؟

سحر، بالتأكيد. هزأت من أفكارها الخيالية. إنها تحمل بعض الأغراض إلى رئيسها في العمل، فهو تطوع لعمل الخير لا أكثر ولا أقل.

لفت معطفها جيداً حول نفسها وأمسكت بالحقيبة، فتحت باب السيارة وقفزت بجنون نحو السلالم المؤدية إلى السطح.

اخترق ضوء المصباح في الخيمة ظلمة الليل وستار المطر. واتجهت ايفا إليه مثل بحار يستهدي بشعاع المنارة.

وقفت للحظة خارج الخيمة، متعجبة ما إذا كان المطر قد غسل ما تبقى لديها من عقلانية. إذ أن الجنون وحده قد يفسر وقوفها على السطح وسط عاصفة ممطرة في مساء ليلة سبت. من المؤكد أن الجنون فقط قد يفسر لماذا تقف لتفكر في الدخول إلى دفء تلك الخيمة.

«سألقي إليه هذه الأشياء وأعود إلى المنزل.» ومررت إحدى يديها في شعرها، ولاحظت كيف التصق بجلدة رأسها. لا بد أنها تشبه الآن فأراً مبتلاً. لماذا تهتم فيما إذا كان بريس ماكسويل مبتلاً؟ يمكنها أن تستدير وتعود أدراجها ولن يعرف مطلقاً أنها كانت هناك.

كان ذلك بالضبط ما عزمت على القيام به، عندما فُتح سحّاب الخيمة وأطل رأس بريس من الفتحة. «ايفا!» وابتسم لها تلك الابتسامة التي جعلت كل المنطق يفرّ من رأسها، وتداعت كل دفاعاتها. «تعالي، ادخلي قبل أن يغرقك المطر.» فتح الفتحة لتصبح أوسع وقبل أن تستجمع أفكارها كان قد جذبها إلى الداخل.

كانت الخيمة صغيرة جداً من الداخل، صغيرة لدرجة أن التصاقهما ببعضهما البعض كان أمراً محتوماً. لم يكن يرتدي قميصاً، فقط سروالاً من الجينز الضيق. وأشعرها احتكاك كتفه بكتفيها بضيق في صدرها، ووهن في ركبتيها.

وسألها بارتياب: «ماذا تفعلين هنا؟» ومد يده يمسح قطرات الماء عن أعلى كتفيها وبرقة مسح بأصابعه الماء عن خديها. كانت لمساته دافئة جداً.

«أنا، آه، أحضرت لك سترة واقية وبعض الحساء

الساخن. لم أكن أعرف إن كان لديك أي ملابس للشتاء أم لا، ولم أكن أعرف إن كانت خيمتك ينفذ إليها الماء أم لا وأنا...» قطعت كلامها وقد تنبهت إلى أنها كانت تتحدث كمعتوهة، أمسكت بالحقيبة وأعطته الأغراض التي حملتها له.

وفكرت بذلك، تلك غلطة، غلطة فادحة. كانت الخيمة صغيرة جداً، دافئة جداً ومريحة وقد عبقت فيها رائحة رجولته. ضياء المصباح عكس ظليهما على جدار الخيمة مما زاد من حميمية ما يحيطهما.

كان ذلك كثيراً. كل ذلك كان كثيراً. ما كان عليها أن تأتي. كان عليها أن تتركه يصاب بذات الرئة. قد يفقد جاذبيته تلك عندما يعاني من زكام حاد ويحمرّ أنفه من شدة السعال.

الخيمة الصغيرة ومظهر بريس، نظرته المتفهمة الدافئة أشعلت الرغبة فيها، فلم تعد قادرة على المقاومة.

وشعر بريس بالعاطفة التي تتملكها تجاهه، مما خلق في داخله حاجة ملحة أدرك أن لا أحد يستطيع أن يملأها سوى ايفا.

نظر في عينيها فرأى أن ايفا ذات العينين الخضراوين التي يملأها الاحباط والأكناف المتوترة قد اختفت. وكأن ايفا التي يعرفها قد ذابت لتحل محلها امرأة دافئة مرنة.

في تلك اللحظة، هبت «ريح»، مما جعل فتحة الخيمة تنفتح وقد رافقها صوت كصوت انفجار كيس من ورق.

جعل الصوت ايفا تقفز مذعورة.

نهض بريس ونظر إلى الخارج، ثم أقفل سحاب الخيمة. «ليس هناك شيء، إنها الريح فقط.» وعاد يجلس إلى جانبها.

لكن الصوت قد أعاد ايفا إلى ما كانت عليه. جلست، ومررت يدها في شعرها، وقد حلت الاتهامات مكان العاطفة الهوجاء. يا إلَهي، ما الذي كانت تفعله فوق سطح المبنى وهي المعلمة المحترمة؟ ماذا كان ليحدث لو أن أحد الطلاب أتى ليتحقق إن كان بريس لا يزال هناك؟ إنها راشدة ومسؤولة ومعلمة. كانت تجازف ليس فقط بسمعتها، ولكن بوظيفتها أيضاً، في وجودها هنا مع بريس.

«بريس...» دفعته عندما حاول أن يضع ذراعيه حولها مرة ثانية. «هذا جنون. لا بد أننا مخبولان.»

فقال محاولاً الامساك بها: «لقد جعلتني مجنوناً.» ولما لم تستجب له، أسقط ذراعيه جانباً.

«لا أستطيع... هذا ليس صحيحاً.» واغرورقت عيناها بالدموع. شعرت وكأنها صبية مراهقة أغريت، فتركت عاطفتها تتغلب على عقلها.

جلس إلى جانبها وتنهّد. «إنك على حق، أعتقد أن الأمور قد خرجت قليلاً عن سيطرتنا.» أمسك ذقنها بيده. كانت عيناه دافئتين، وما زالتا تعكسان اتقاد عواطفه. «ليس هذا بالمكان أو الوقت المناسب.»

«ليس الأمر كذلك.» قالت، متمنية لو أنه يتوقف عن لمسها والنظر إليها بعيون راغبة. «الأمر برمته، نحن... ليس صحيحاً.»

ابتسم مما جعل غمازتيه تتراقصان على وجنتيه بشكل

مثير. «لكن الشعور يبدو صحيحاً.» همس برقة ودفء أنفاسه يلاطف جانب رقبتها.

وقالت محتجة عندما انحنى يقبل أذنها: «بريس، كفّ عن ذلك.» وابتعدت عنه، وشعرت على الفور بالحرمان عندما حلّت برودة الجو في الخارج مكان حرارة جسمه. «لا يسعني أن أكون مثلك، لا يمكنني تعهد شعار «إن راق لك الأمر، افعله.» وتنهدت وقد شعرت بالاحباط.

اتسعت ابتسامته، ومد يده ولمس ذراعها بأصبعه: «إننا مختلفان جداً.. ومن المفترض أن نكون كذلك، أنا رجل وأنت امرأة.»

«أنت تعرف أني لا أقصد ذلك.» ونظرت إليه... شعره الطويل، ملامحه الجريئة، الثقة التي تشع منه حتى هذه اللحظة. كان رجلاً لا يحتاج إلى أحد... وأيقنت ايفا فجأة أنها امرأة تحتاج إلى من يحتاجها. «بريس، نحن مثل الخل والزيت.»

«لكن إن مزجت الخل والزيت معاً ستحصلين على تتبيلة سلطة شهية.»

«مهما مزجتهما معاً، فإنهما سينفصلان أخيراً.»

«سوف نبقي نفسينا متحدتين.» ثم تنهد محبطاً ومرر يده في شعره.

«في هذه اللحظة، التي لست أكثر من كومة صغيرة.»

وضعت ايفا يدها على ذراعه. «إنني آسفة حقاً يا بريس. ما كان عليّ أن أترك الأمور تخرج عن سيطرتي هكذا. وشعرت بوجهها يحمر وهي تتابع: «لن أكذب عليك إنني أريدك. لكن ليس هكذا... بهذه السرعة.»

فابتسم بخبث. «الآن سأكون صريحاً معك. لم أكن أبداً رجلاً صبوراً، لكن لدي شعوراً حيالك، ايفا وينتروب، بأنك تستحقين الانتظار.»

«أفضّل أن نتعارف أكثر قبل أن... آه.» وحوّلت نظراتها بعيداً عن نظرته.

«أي طريقة أفضل من أن نتحاب لنعرف بعضنا البعض؟ حسناً، حسناً...» وضحك للتعبير الذي ظهر عليها. «سنأخذ الأمر بالرويّة. كان عليّ أن أعرف أن امرأة تقليدية مثلك ترغب في تودد تقليدي.» وراقبها وهي ترتدي معطفها وتحكم ربطه عند خصرها. «ما رأيك في أن نعدّ لعشاء في شقتي حالما أغادر هذا السطح؟»

فهزت رأسها. «لا أعتقد أن هذه فكرة جيدة.» وتورّد وجهها ثانية. «لا أعتقد أنها فكرة صائبة أن نمضي أي وقت معاً بمفردنا حتى ولو كان لفترة قصيرة من الزمن.»

فغر فمه وكأنه يهم بالاحتجاج، ثم هزّ رأسه ببساطة بينما تحركت هي نحو فتحة الخيمة تستعد لتزحف إلى الخارج ولكنها توقفت عندما ناداها: «سأرافقك حتى نهاية السطح.»

فقالت معترضة: «ليس عليك أن تفعل ذلك، إنها ما زالت تمطر.»

«يا حلوتي، إن أفضل ما يمكن أن أحصل عليه الآن هو دوش من المطر المتساقط البارد. هل تريدين معرفة الشيء الأفضل لي الآن؟» وعادت نظرة الخبث إلى عينيه.

«قطعاً لا.» أجابت ايفا بذلك مقهقة وهي تنطلق خارجة من الخيمة لتسرع بالنزول من السطح.

الفصل السابع

حدّقت ايفا في الجدار الذي يفصل غرفة الجلوس بينها وبين بريس، محاولة أن تتصور ماذا يمكن أن يفعل هناك. فقد بدا وكأنه يقيم حفلة. أصوات خافتة، يصحبها ضحك صاخب تناهى إلى مسمعها عبر الجدار. بين الفينة والأخرى كان هنالك صوت قرقعة، يشبه صوت المطرقة على قساطل معدنية.

أعادت توجيه انتباهها إلى الكتاب الذي بين يديها، محاولة أن تتجاهل الأصوات الصاخبة. إذا كان بريس يقيم حفلة، فذلك شأنه. كان الوقت مبكراً عشية ليلة السبت، ولم تكن، لهذا السبب، الضجة مزعجة.

تنهدت وشدت على شعرها بقوة، محاولة التركيز على الكلمات التي أمامها. على كل حال، من الصعب التركيز على أي شيء عندما تدور أفكارها حول بريس.

أخيراً، نزل من السطح يوم الثلاثاء الماضي، عندما تحقق الحضور الكامل وتغيب العديد من الطلاب. طيلة الأسبوع المنصرم أبقت ايفا على مسافة جيدة بينهما وقد تيقنت أن مقاومتها سهلة الاختراق. فهي تفقد رشدها حيثما يتعلق الأمر به. فيتوقف عقلها عن التفكير وتتقد احمراراً لشدة انفعالها إذ يكون قريباً منها. لحسن الحظ، كان مشغولاً طوال الأسبوع. لذا لم يكن لديه سوى القليل جداً من الوقت ليتصل بها شخصياً.

لكن حيث لم تكن لديهما فرصة تجمعهما بعد تلك الليلة في الخيمة، لهذا لم يكن يعني أنه لم يحدث بينهما شيء.

كانت بمجرد أن ينظر إليها عبر غرفة الطعام المكتظة في المدرسة تشعر بجفاف في حلقها ووخز خفيف في معدتها. ارتطام كتفيهما عبر الرواق، سماع ضحكاته العميقة المتناهية من مكتبه، ومراقبته وهو يتحدث مع مجموعة من الطلاب، كل هذا كان يجعلها تشعر بوهن في ركبتيها وخفة في رأسها. لم تستطع أن تنسى الشعور الذي انتابها وهي بين ذراعيه، شعرت بروعة الحياة. كان شعوراً مذهلاً.

قفزت عندما سمعت قرعاً على الباب. ومشت تفتحه لتجده واقفاً هناك، أكبر من الحياة. كان يرتدي سروالاً من الجينز وقميصاً قطنياً ذات أكمام قصيرة. ملتصقة بكتفيه العريضتين. شعره الأسود بدا أشعث كشعر المحارب. وكان عليها أن تخنق على الفور حافزاً يدفعها لأن تمد يدها لتعبث بشعره. عيناه بدتا كعيني صبي مرح، وابتسامته عكست بعضاً من الإثارة الداخلية.

هل لديك بعض «الفوشار» يمكنني استعارته؟

فأجابت: «أعتقد ذلك.» وفتحت الباب على مصراعيه ليتسنى له الدخول. مضت إلى المطبخ، حيث كيس «الفوشار» وعادت إليه. «هاك طلبك.»

«شكراً.» أخذ الفوشار مغادراً قبل أن يترك لها فرصة لتقول أي شيء آخر.

أغلقت الباب، وهزت رأسها منذهلة. ماذا يفعل في شقته بحق السماء؟

كانت قد جلست لتوها على الأريكة عندما طُرق الباب مرة ثانية. وفتحته لترى بريس يبتسم ابتسامة واسعة. «هل لديك بعض الزبدة؟»

أومأت برأسها، وهرعت نحو المطبخ. وسألت بعد لحظة وهي تناوله ملعقة من الزبدة. «ما الذي تفعله هناك؟»

«تعالي، واكتشفي ذلك بنفسك.» وابتسم ابتسامة غامضة.

«آه، لا، إنه حقاً ليس من...»

فقاطعها: «تعالي.» وأخذ يدها يجرها عبر الرواق إلى داخل شقته.

«مرحباً، آنسة وينتروب.» حيّاها جوني كليفنغر وأربعة من أصدقائه الذين جلسوا على شكل دائرة على أرض غرفة الجلوس عند بريس. كان هناك في وسط الدائرة، أجزاء دراجة نارية موضوعة على ملاءة.

استدارت ايفا نحو بريس بقلق. «أليست هذه دراجتك النارية؟»

فابتسم، وقد بدا رضاه عن نفسه واضحاً. «لا، هذه واحدة اشتريتها من محلات الخردة. الأولاد هنا سيمضون ليالي السبت في إعادة جمعها.»

«أجل، وعندما نعيد جمعها سنطرحها للبيع في المزاد وسنستعمل المبلغ في إقامة حفلة راقصة في المدرسة.» رأت ايفا وجه جوني أكثر حيوية، وأكثر تأثراً من أي وقت مضى رأته فيها. وقد عكست وجوه أصدقائه تعابير وجهه. أنهى كلامه بابتسامة عريضة قائلاً: «أليس هذا رائعاً؟»

وقال بريس موضحاً: «بالطبع، لقد وعدني الصبية أنه

مقابل حضورهم إلى هنا ليالي السبت سيعملون بجد لتحسين معدلاتهم.»

ابتسمت ايفا له بحرارة. هؤلاء الأولاد كانوا عرضة لبعض المخاطر، ومحكوماً عليهم بالسقوط أو الفشل التام. لكنه تدبر أمر اكتشاف طريقة ليصل إليهم ويحرك فيهم الدوافع. تصرفه هذا ملأ قلبها فخراً به.

وقال بريس وهو يتوجه ناحية المطبخ: «أيها الفتية انتظروا، سأذهب وأعد لكم بعض الفوشار.»

لمست ايفا ذراعه. «إذا كنت لا أعيق أسلوبك، وأتخطى طقوس عصبة الرجال، أكون مسرورة إن أنا أعددت الفوشار بنفسي.»

فقال محتجاً: «ليس عليك القيام بذلك.»

فأجابت ببساطة: «لكنني أحب فعل ذلك.» كانت تقول الحقيقة لقد أرادت أن تفعل شيئاً لتساعده في مشروعه. «أريد المساعدة. لا أعرف شيئاً عن المحركات والدراجات النارية، ولكن يمكنني صنع قصعة من الفوشار.»

وقال وهو يناولها ملعقة الزبدة: «شكراً.» قال ذلك بابتسامة بعثت في كيانها سيلاً من الحرارة جعلها تخشى من أن تسيل الزبدة في يدها على الفور.

وتمتمت: «قصعة من الفوشار في طريقها إليكم.» وهرعت نحو المطبخ مبهورة الأنفاس.

على الأقل، ليس عليها أن تقلق حيال خروج الأمر عن السيطرة مع بريس خاصة وهناك خمسة من الصبية المراهقين حولهما.

مع تلك الفكرة المريحة في رأسها اتجهت نحو الفرن

حيث كان بانتظارها مقلاة كبيرة، وزجاجة زيت، وكيس من الفوشار. وشق دوغ طريقه وجلس عند قدميها، ينظر إليها بعينيه الحزينتين متوسلاً أن ترمي نحوه شيئاً مما تصنع.

بعد حوالي نصف ساعة، كانت ايفا لا تزال في المطبخ تعد الصحن الأخير من الفوشار. فالقصعة في غرفة الجلوس كانت تفرغ بالسرعة التي تملأها فيها. لم تكن تعرف قط أن الصبية المراهقين لديهم هذه الشهية النهمة.

ابتسمت، منتظرة قرقعة حبوب الذرة. فهي حقاً لا تمانع في الوقوف عند الفرن الحار تحرك المقلاة مراراً إلى الأمام وإلى الخلف.

في الواقع، لقد وجدت العملية مسلّية للغاية. كان هناك شيء جميل في الوقوف في المطبخ، لتحضير الطعام، بينما الضحكات والصداقة الحميمة تسود الغرفة المجاورة. كان في إمكانها سماع صوت بريس الخافت، ثم ضحكته المدوّية. كان جيداً في تعامله مع الأولاد، قادراً على أن يتنازل إلى ذلك المستوى. كان من الواضح أنه يحبهم حقيقة. واستجاب الصبية له في لطف.

سيكون والداً رائعاً. فكرت في ذلك فجأة. كان من السهل تخيّله في الغرفة الأخرى يتصارع مع اثنين من الأولاد. ضحكته العميقة تختلط مع صرخات ابتهاجهم. سيكون والداً من النوع الذي يجد دائماً وقتاً يمنحه لأولاده، رجلاً يرتبط بهم دون جهد، تصورها له مع اثنين من الأولاد سيبين لها ظهور انتفاخ بسيط في حنجرتها، وشعوراً ملتهباً في حنايا صدرها.

قفزت من مكانها عندما بدأت حبات الذرة تفرقع، وقد

أعادها الصوت من أحلامها المجنونة. هزت رأسها في حزن. قد يكون بريس ماكسويل والداً رائعاً، لكن على الأرجح سيكون زوجاً مروّعاً. بالطبع ليس لديها سبب حقيقي تجاه هذا الافتراض، سوى أنه كان يشكل دفاعاً جيداً ضد شعورها المتنامي حياله.

أنهت إعداد الفوشار وحملت المقلاة إلى غرفة الجلوس حيث كان الصبية يتناقشون بحماس حول قطع المحرك. وقالت معلنة: «آخر قصعة. لقد أفرغت كيس الفوشار كله.»

وأصدر الجميع تأوهات من الاحتجاج وناولت جوني القصعة ثم توجهت إلى الباب الأمامي. «حسناً، أعتقد أني سأترككم الآن أيها الفتية.»

فقال بريس محتجاً محاولاً إيقافها: «لا تذهبي. يمكننا الاستفادة من الحضور النسائي لنحافظ على انضباطنا.» وأخذ ذراعها، وبالرغم من احتجاجها يقودها نحو كرسيه، وقد صاحب تصرفه هذا ضحكاً مشجعاً من الأولاد.

سمحت لبريس بأن يجلسها على كرسيه وهي تضحك باستسلام بينما انضم هو إلى الأولاد على البطانية. وفي الحال عاد الحديث ليدور حول المحركات والدراجات النارية.

استلقت ايفا إلى الخلف بارتياح، وابتسمت عندما مشى دوغ وجلس عند قدميها. ورمت بضع حبات من الفوشار «دون قصد» بينما كان الكلب مستعداً ليأخذ غفوة بعد أن ملأ معدته.

مضت ساعة وهي جالسة تصغي إلى حديث بريس والأولاد. استوعبت القليل منه حيث كان يتخلله مصطلحات

ميكانيكية. ولكنها رغم ذلك، وجدت الحديث ممتعاً. كان الصبية الخمسة تلامذتها، ولم تسمعهم يتكلمون على هذا النحو، أو بدت عليهم هذه الحيوية قط من قبل. كان أمراً جميلاً أن تراهم خارج إطار الصف. لقد أعطاها الأمر منظوراً مختلفاً عن كل واحد منهم، وقد استمتعت ايفا بمراقبة بريس، الذي بدا صبيانياً، يضج دفئاً وحيوية وهو يغيظ الواحد تلو الآخر من المراهقين.

«أعتقد أن الرقص فكرة خرقاء.» قال فجأة كارل وذرسبون الفتى الأشقر النحيل.

فقال جوني يغيظه: «آه، تقول ذلك فقط لأنك لا تحسن الرقص.»

ضحك جفّ مايجور، ولد آخر من الأولاد قائلاً: «نعم على الأرجح أنك ذو قدمين يسريين.»

فأجاب كارل في تحد وقد تورد وجهه إحراجاً: «أعتقد أن الرقص شيء سخيف.»

وقال بوبي ماكومب: «إنني لا أحسن الرقص.» وقد ظهر على وجهه ابتسامة خجل. «ربما تستطيع الآنسة وينتروب تعليمنا. كل الفتيات يحسنّ الرقص.»

واستدارت العيون تنظر إلى ايفا.

أربكتها نظراتهم إليها. «آه... لا أستطيع... أقصد... إنني لا...»

وقال بريس وهو ينهض ويتجه نحو جهاز الستريو: «تلك فكرة رائعة لدي جميع أنواع الموسيقى هنا...» وبدأ يسحب الاسطوانات. «لدينا موسيقى كلاسيكية، ديسكو، وروك أند رول...»

صرخ جميع الأولاد في صوت واحد: «الروك أند رول.»

فاعترضت ايفا: «في الحقيقة لا أستطيع.»

فأجاب بريس: «بالطبع، تستطيعين.» ووضع الاسطوانات على القرص الدوّار، ثم جذبها عن الكرسي هامساً: «ارقصي معي فقط.» فيما انبعثت موسيقى الخمسينيات.

كان راقصاً جيداً. لقد أعجبت ايفا عدة مرات برشاقته الطبيعية والتي كانت واضحة جداً فيما كان يتحرك على وقع أنغام الموسيقى. لقد رقص في حماس ونشاط كبيرين، كما هو حاله في كل ما يقوم به، دون ذرة من الخجل. ووجدت ايفا أن خجلها يتلاشى هي أيضاً تحت تأثير ابتسامته الدافئة.

وهتفت بالغلمان الذين ما زالوا جالسين يراقبونهما: «هيا، يا شباب، تستطيعون المحاولة على الأقل.»

«كل ما عليكم القيام به هو التمايل على وقع الموسيقى.»

نهض جوني وانضم إلى ايفا وبريس، وجعلهما يضحكان وهو يمشي كالحالم عبر الغرفة.

لم يمض وقت طويل، حتى نهض جميع الأولاد وأخذوا يحاولون تقليد ايفا وبريس في حركاتهما. قام جوني ببعض الخطوات لرقصات حديثة أمام رفاقه وأمام ايفا وبريس، حيث قام الأخيران ببعض الخطوات لرقصات قديمة.

ضحكت ايفا كثيراً عندما قام بريس بتقديم عدة رقصات كانت معروفة قديماً أما الآن فهي تبدو سخيفة. وأخذت ترقص مع كل فرد منهم واحداً تلو الآخر، تعلمهم بصبر

كيفية الرقص، ضاحكة وإياهم على أخطائهم وأخطائها.

كانت الساعة تقارب منتصف الليل، عندما أقفل بريس جهاز الستريو وأعلن أن على الأولاد العودة إلى منازلهم. إعلانه هذا قابلته عاصفة من التأوهات، لكن الأولاد لم يجادلوا في الأمر. تحدثوا عما يريدون إنجازه في جمع الدراجة النارية السبت المقبل ثم غادروا المكان.

سارت ايفا خلفهم، غير راغبة في البقاء وحيدة معه. كانت تعرف أنه من الأفضل لها أن لا تثق بمناعتها.

وسألها بريس فيما كانت متجهة نحو الباب الأمامي: «هه... إلى أين تهربين؟»

فقالت باسمة: «علي الذهاب إلى المنزل. لقد أرهقني الضحك.»

تحرك ليقف إلى جانبها، وعلى وجهه ابتسامة. «أحب أن أسمعك تضحكين، يجب أن تفعلي ذلك غالباً.»

«إن قمت بهذه الرقصات البليدة غالباً. فإني سأفعل ذلك بالتأكيد.» وهزت رأسها. «لا أصدق أننا قمنا بهذه الحركات المجنونة. وظننت أننا كنا عاقلين.»

«إن أردت رؤية مهارتي في الأداء والتقليد أقترح عليك الحضور في الأسبوع القادم.» غابت ابتسامته، ونظر إليها بجد. «فعلاً، آمل أن تأتي الأسبوع القادم. أعتقد أنه أمر جيد وجود أنثى هنا يوطد الصبيان علاقتهم بها على أسس غير رسمية.»

أومأت ايفا برأسها. «أود أن أعود ثانية.»

انحنى إلى الأمام ومرّ باصبعه على جانب وجهها. «ما رأيك بتناول فنجان من القهوة؟ إن بقيت، سأكون مسروراً أن أعده لك... في الصباح.»

ربتت ايفا على كتفه معاتبة. «ما رأيك أن ألقاك في الصباح حوالى التاسعة على الشرفة لتناول فنجان قهوتك؟»

فقال معلقاً على كلامها: «دعوتي تبدو أكثر إثارة.»

ردت هي عليه بابتسامة صغيرة: «لكن دعوتي قابلة أكثر للتنفيذ.»

ضحك مستسلماً. «حسناً، نتناول القهوة في التاسعة على الشرفة.» وقبل أن تدرك ما ينويه، انحنى وقبّلها على جبينها. «أحلاماً سعيدة، ايفا.»

أومأت برأسها، وخرجت من شقته مسرعة نحو شقتها، حيث تنهدت شوقاً. آه، من الصعب الإبقاء على مسافة بينهما. كان رجلاً من الصعب إبقاءه بعيداً عن قلبها. كانت معركة خافت أن تخسرها.

خرجت ايفا صباح اليوم التالي عند التاسعة تماماً من شقتها وجلست على الشرفة الأمامية تتنشق هواء الصباح العطر. كان صباحاً رائعاً. السماء زرقاء صافية والشمس دافئة. لم تكن متأكدة ما إذا كان الصباح رائعاً حقاً، أم أنها تشعر به كذلك لأنها ستقضيه بصحبة بريس. قبل أن تتاح لها الفرصة لتحصل على الراحة التامة بجلوسها على المقعد الحجري فتح باب شقة بريس، وأطلّ منه حاملاً صينية عليها قهوة معدّة لاثنين.

وقال وهو يوازن الصينية بعناية فيما جلس إلى جانبها: «صباح الخير.»

ردت عليه، بابتسامة حارة: «صباح الخير.»

«أتمنى أن تعجبك قهوتي، إنها مزيج خاص.» وناولها فنجاناً من الشراب الساخن.

www.elromancia.com

أخذت ايفا رشفة لتتذوقها وقد أدهشتها نكهة الشوكولا والقرفة ممتزجة مع نكهة القهوة. «إنها لذيذة جداً.»

«عادة، مذاقها أطيب عند تناولها في السرير.» ولمعت عيناه في جاذبية.

«لا أعتقد أنها يمكن أن تكون ألذّ مما هي عليه الآن في هذه اللحظة.» وضحك هو لجوابها في صوت خافت.

«ايفا وينتروب، أنت امرأة عنيدة.»

فردت عليه وهي ترشف قهوتها: «بل أنا امرأة حريصة.»

«أحياناً، أعتقد أنك حذرة جداً.»

«وأحياناً، أعتقد أنك متهور جداً.»

«وبالتالي إلى أين يوصلنا ذلك؟»

«إلى احتساء القهوة على الشرفة فقط.» وابتسمت ثانية ورفعت وجهها عالياً لتواجه حرارة شمس الصباح. «أرفض أن أمازحك هذا الصباح، يا بريس. يحتاج ذلك الكثير من الطاقة. وأنا أشعر بكسل شديد.»

فتمتم وهو يرشف قهوته: «آه... من المؤسف أنك لا تشعرين بأنك مذنبة.»

جلسا هناك لبضع دقائق، يشربان القهوة ويستمتعان بهدوء الصباح. كان يوماً من أيام الربيع الرائعة حقاً التي تجدها في بواكينا. كانت السماء صافية زرقاء، والأشجار تبرز ثوبها الأخضر الجديد، والهواء يحمل رائحة الزهور الذكية.

وقال بريس وهو ينهي فنجانه ثم يضعه بجانبه على المقعد الحجري: «إن المكان هادىء جداً هنا.»

فقالت معلقة: «لا بد أنه مختلف تماماً عن نيويورك.»

فضحك بريس. «لا مجال للمقارنة. لا يوجد مكان بهذا

الهدوء في مدينة نيويورك. هناك تتصرفين وفقاً للضغط الحسّي طوال الوقت.»

«يبدو ذلك فظيعاً.»

«في الواقع، ليس كذلك بالضبط. ثمة شيء مثير في ذلك. إنه مثل إحساسك بضربات النبض في عروقك طوال الوقت. إنها مأساة كل يوم، وإثارة في كل دقيقة.»

«يبدو وكأنك تفتقدها.»

«ليس تماماً.» وبسط ساقيه الطويلتين أمامه. «الضوضاء، الإثارة، مسارح نيويورك كل ذلك كان رائعاً ولكن عندما وافقت على العمل هنا، كان ذلك لأني كنت راغباً في التغيير. إضافة إلى...» واتكأ إلى الوراء ونظر إلى البيئة الهادئة حوله قائلاً: «مدينة نيويورك ليست المكان المناسب لتربية الأولاد.»

رفعت ايفا حاجبيها ونظرت إليه: «هل تخطط لتربية الأولاد؟» وبدأ قلبها يدق دقات غير منتظمة في صدرها.

«وماذا عنك أنتِ؟ هل تريدين أن يكون لك أسرة؟»

«لم أفكر في الأمر كثيراً.» وتوردت وجنتا ايفا خجلاً فجأة وقد تذكرت تخيلاتها في الليلة السابقة بينما كانت في غرفة المطبخ. حيث تصورته في غرفة الجلوس مع اثنين من الأطفال. «نعم، أحب أن يكون لي أسرة... بالرغم أنه علي الاهتمام ببعض الأمور العائلية الأخرى قبل التفكير في حياتي الخاصة.»

«كيف تجري الأمور مع شقيقتك ووالدتك؟»

ابتسمت ايفا بتأمل وهي تنهي قهوتها. «أجد أنه من الصعب علي القول لا.»

www.elromancia.com

«ليس عندك مشكلة في هذا الشأن حيث يتعلق الأمر بي.» قال ذلك ليغيظها، وعيناه اللازورديتان تنظران إليها.

«أنت تعرف ماذا أعني.» ووكزته بمرفقها بلطف ثم تابعت قائلة: «من الصعب القضاء على العادات القديمة بسهولة، ومن عادتي أن أكون دائماً إلى جانب عائلتي، ولا أقول لهم لا أبداً عندما يريدون أو يحتاجون شيئاً. إنما بدأت القيام بتغييرات.» وابتسمت له. «حتى أنني بدأت أتصرف ببعض التهور.»

فسألها، وقد تراقص حاجباه السوداوان على جبهته: «وكيف ذلك؟»

«اشتريت سترة جديدة نهار أمس، ولم أكتب اسمي على الياقة.»

فضحك بريس: «إن لم تنتبهي لنفسك، قد تصبحين فعلاً مجنونة أو متهورة. وسينتهي بك المطاف إلى القيام باعتصام على سطح مبنى المدرسة.»

ابتسمت ايفا في تردد. «سيكون أمراً بالغ الأهمية حتى ألجأ إلى تلك التدابير المتطرفة.»

فقال بريس: «الحديث عن المسائل المهمة...» ونظر إلى الساعة في معصمه. «عليّ أن أذهب إلى صديق سيطير إلى مدينة أوكلاهوما لحضور مؤتمر. سأذهب لموافاته والقيام معاً بزيارة لحين من الوقت، الليلة.»

فقالت ايفا وهي تقف حين وقف هو: «ستقود الدراجة لمدة تتراوح بين الثلاث والأربع ساعات؟»

«لا بد أنه صديق جيد.»

«إنه كذلك. لقد درسنا معاً في المدرسة. وتشاركنا نفس

الغرفة. لم يكن لدينا فرص كثيرة لرؤية بعضنا البعض.» ومد يده يتناول منها فنجان القهوة الذي أعطته له.

«شكراً للقهوة، وتنبّه لقيادتك.» لقد كرهت فكرة قيادته تلك المسافة على دراجته النارية، وقد ظهر قلقها في عينيها.

وأجاب مؤكداً: «سأكون بخير وسأراك في المدرسة عند الصباح.»

أومأت برأسها، وهي تراقبه يأخذ الفنجانين والصينية ويختفي إلى داخل شقته.

جلست على الشرفة ثانية، متسائلة ما إذا كان جمال الصباح قد بهت قليلاً بعد مغادرته أم أنها مجرد تخيلات.

هل كان ممكناً أن بريس يملك ذلك التأثير عليها؟ عندما كان بجانبها كانت السماء أكثر زرقة، والهواء ألطف والحياة أكثر إثارة؟ ارتعشت ونهضت رافضة البحث في نتيجة تلك التصورات.

كان الوقت متأخراً ذلك اليوم، عندما مرت كولين بها لتعيد لها الثوب الأزرق الذي استعارته.

قالت كولين وهي تحمل الثوب إلى غرفة نوم ايفا: «إنه يحتاج إلى تنظيف. لقد اسقطت عليه من الأمام نقطة صغيرة من صلصة الكوكتيل.»

«أرغب في استعارة ثوب آخر. السيدة ورثنغتن ستقيم حفل عشاء لبعض المحسنين ليلة الأربعاء، وتريد مني أن أصحبها ولكن ليس لدي ما أرتديه.»

«طبعاً، دعيني أعرف فقط أي ثوب تريدين استعارته.» وعادت ايفا إلى مكانها على الأريكة، حيث كانت ترتاح لدقائق قبل وصول كولين.

«لقد جئت ليلة أمس، لكنك لم تكوني في المنزل.» اندفع صوت كولين من غرفة النوم مترافقاً مع طقطقة تعاليق الملابس فيما كانت تفتش داخل خزانة ايفا.

فابتسمت ايفا وقد تذكرت تلك الأمسية مع بريس والأولاد: «كنت في الشقة المجاورة.»

«الشقة المجاورة؟» وأطلت كولين برأسها من الباب. «تقصدين عند بريس ماكسويل؟ ماذا كنت تفعلين هناك؟»

فردت ايفا باسمة: «لقد دعا بعض الأولاد، وكنا جميعاً نعمل في مشروع سري.»

«مشروع سري؟ أي نوع من المشروع السري؟»

ابتسمت ايفا. «لن يكون سراً إن أنا أخبرتك به الآن، أليس كذلك؟»

فعبست كولين واختفت داخل غرفة النوم مرة ثانية.

«هاي، من أين حصلت على هذا الثوب الحريري الرائع؟» تصاعد صوت كولين مرة ثانية من غرفة النوم.

دفع هذا السؤال ايفا للنهوض عن الأريكة والتوجه نحو غرفة النوم حيث قذفت كولين عدة أثواب من أثواب ايفا على السرير. كانت تمسك ثوباً حريرياً بلون الشمّام والذي ما زالت بطاقة ثمنه تتدلى من كمه.

«إنه فاتن.» هتفت كولين بقوة، ممسكة بالثوب على جسمها وأخذت تدور أمام المرآة قائلة: «من أين حصلت عليه؟»

«لقد اشتريته منذ شهرين من ذلك المحل الصغير في ماين ستريت.» كانت نزوة. فقد كانت تتسوق لشراء ما يناسب عملها الجديد ورأت هذا الثوب واحبته، بعد أن جربته، رغم

أنها كانت تعرف أن شراءه فكرة سخيفة حيث أنه لا يصلح لارتدائه في العمل، ولكنها اشترته ووضعته في مؤخرة خزانتها، آملة أنها يوماً ما قد تحتاج إلى ارتداء ثوب مميز من أجل رجل مميز.

وقالت ايفا: «أفضّل ألا تستعيري هذا الثوب.»

«هذا هو الثوب الذي أريده. سيبدو رائعاً علي.» اعترضت كولين. واستدارت مرة ثانية نحو المرآة معجبة بانعكاس صورتها فيها.

«ما زالت بطاقة سعره معلّقة فيه كما ترين. فإني لم أرتده بعد.»

«وهل تذهبين إلى أماكن تحتاجين فيها إلى ارتداء مثل هذا الثوب الرائع؟ عليك أن تسمحي لي باستعماله.»

«كلا.» قالت ذلك ايفا في هدوء ولكن في ثبات وهي تأخذ الثوب من يد أختها وتعيده إلى الخزانة: «عندي عدة أثواب أخرى تعادله جمالاً وفي استطاعتك استعارة أية منها على الرحب والسعة.» التقطت الثوب الأزرق الذي كانت كولين قد استعارته منها وأعطتها إياه. «يمكنك، أيضاً إعادة هذا لي عندما تنظفينه.»

حدّقت كولين في ايفا وكأنها جنت. «يا إلَهي، ماذا دهاك؟ هل كان أسبوعك سيئاً في المدرسة، أم ماذا؟»

«ليس بي من شيء إنني أعتقد فقط أنه من العدل أن تنظفي أنت الثوب. على أية حال، أنت من سكب عليه الصلصة.»

«لم تطلبي مني أبداً أن أنظف الأشياء التي كنت أستعيرها من قبل.» وصمتت كولين متعجّبة، وهي ما زالت

تنظر إلى ايفا في دهشة ثم استطردت: «لماذا أنتِ وضيعة جداً؟»

«إني لست وضيعة، وإنما أنا عادلة. أنا أدفع دائماً أجرة التنظيف عندما تستعيرين شيئاً يخصني، وهذا ليس عدلاً.» وابتسمت ايفا لشقيقتها في رقة. «والآن، ما رأيك في ثوبي الأسود ذي الأزرار الفضية لذلك الحفل الحميم الذي تقيمه السيدة ورثنغتن؟ هذا الثوب يبدو جميلاً عليك دائماً.»

«انسي الأمر، سأرتدي شيئاً من ملابسي.» قالت كولين ذلك بحدة: «لا أعرف لماذا أصبحت وضيعة لامبالية هكذا.»

تبعت ايفا شقيقتها وهي تخرج من الغرفة وتتجه نحو المدخل الأمامي. «سأعيد الثوب الأزرق بعد تنظيفه، لكنني أعتقد أنك تصرفت بشكل كريه.»

وهكذا خرجت كولين من المنزل.

تنهدت ايفا، آملة ألا يدوم غضب كولين طويلاً. فهي لا تحب الشجار مع أختها. رغم ذلك، لم تستطع إلا أن تشعر بالارتياح لما حصل. لقد كانت المعركة الأولى فيما قد يكون على الأرجح حرباً طويلة لكنها انتصرت. لقد قالت لا.

تمنّت ايفا لو أنها تندفع إلى الشقة المجاورة وتخبر بريس بما فعلته. لم يكن ذلك بالأمر الكبير، لكنه كان البداية. لقد اتخذت موقفاً وتمنطقت سلاحها، وشعرت بالارتياح.

لكن بريس لم يعد بعد من رحلته إلى مدينة أوكلاهوما، عندما أتى المساء وحلّ الليل، كان ما يزال خارج المنزل.

عندما دقت الساعة العاشرة، أعدّت ايفا نفسها للنوم، محاولة ألا تقلق لأن بريس لم يعد بعد. بدا الأمر غريباً، أن تقلق على شخص آخر غير عائلتها، أمر غريب، لكنه لطيف.

لقد أمضت الكثير من وقتها في السنوات الثلاث الماضية قلقة على أمها وكولين حتى أصبحت فكرة الاهتمام بشخص آخر أمراً جميلاً لكونه غير مألوف.

عند منتصف الليل، سمعت هدير دراجته النارية في المرآب وعرفت أنه عاد إلى المنزل سالماً، وبإمكانها أن تغمض عينيها وتغرق في نوم عميق.

www.elromancia.com

الفصل الثامن

قالت سوزان بيرش، معلمة مادة العلوم وهي تجلس إلى جانب مارغي وايفا إلى مائدة الطعام في صالة الأساتذة: «أمر لا يصدق.»

فسألت مارغي بفضول: «ما هو الأمر الذي لا يصدق؟»

فتحت سوزان حقيبتها البنية اللون وسحبت سندويشاً وتفاحة، وهي تهز رأسها بدهشة.

«اليوم، بعد انتهاء الحصة، جاءت إليّ آنجيلا باكر وسألتني إن كنت أستطيع مساعدتها لتحسّن معدلها ليتسنى لها الانضمام إلى نادي السطح. آنجيلا باكر! تلك الفتاة لم تظهر أي اهتمام طوال السنة سوى بالتبرج وملاحقة الفتية وهي الآن، فجأة، تريد إنجاز أرصدة إضافية.»

فقالت مارغي: «إنه نادي السطح، كل الأولاد يتحدثون عنه.»

فأجابت سوزان: «شخصياً، أعتقد أنه الحدث الأفضل منذ اكتشاف الخبز، أي أمر يحث الأولاد على الدراسة هو جيد في رأيي.»

فعلقت مارغي بقولها: «أصبح الأولاد متحمسين جداً منذ أن أعلن السيد ماكسويل عن عزمه إقامة حفل راقص عند نهاية السنة.»

فقالت سوزان وهي تقضم بعضاً من سندويشتها: «أعتقد أن ذلك رائع أيضاً. إنه من المخجل أن هؤلاء الأولاد لم

يحصلوا على حفل راقص خلال السنوات الخمس الماضية. الرقصات والمدارس الثانوية يترافقان مثل تراقص الزبدة والمربى!» أنهت كلامها وهي تمسك سندويشتها لشرح وجهة نظرها.

ابتسمت ايفا وهي تفكر في الأسبوعين الماضيين. كان بريس صادقاً فيما وعد. لقد أسس نادي السطح، الذي يقدم البيتزا والمرطبات على السطح مرة في الأسبوع للطلاب الذين يظهرون تقدماً ملموساً في صفوفهم. ثم أعلن عن الحفل الراقص، مما أوحى مزيداً من الإثارة بين الطلاب.

لم تكن تلك التغييرات الوحيدة التي جعلت الإثارة تعم بين الطلاب خلال الأسبوعين الماضيين. فقد أعلن بريس أنه عازم على سؤال هيئة المدرسة لرصد المال اللازم لإقامة مركز للكمبيوتر. هذا الخبر لاقى ترحيباً، ليس فقط من الطلاب، ولكن من غالبية الأساتذة أيضاً.

ما زال هنالك أمور أخرى حدثت مؤخراً، جعلت رسم الابتسامة على وجه ايفا أمراً سهلاً. فقد كانت تنسحب ببطء من والدتها وشقيقتها لعدم وجودها جاهزة لتلبية طلباتهم، مشجعة إياهما بذلك على أن تكونا أكثر استقلالية. والحصيلة النهائية لذلك، كانت إحساساً بالحرية واكتشاف ذاتها من جديد، الأمر الذي أبهجها.

قالت مارغي في اللحظة التي أنهت فيها سوزان طعامها وغادرت الطاولة: «سمعت أمس إشاعة غريبة.»

فسألت ايفا بفضول: «أي نوع من الإشاعة؟»

«لقد سمعت من مصدر مطلع بأنك والسيد ماكسويل على علاقة حميمة.»

قالت ايفا ساخرة، وقد أدركت أن احمرار وجنتيها قد دحض احتجاجها: «تلك سخافة.»

«تقول الإشاعة، إنك تمضين ليالي السبت في شقته، منغمسة في علاقة عاطفية حميمة.»

ضحكت ايفا، رغم سخطها المبدئي، لم تستطع إلا أن تضحك. ضحكت على سخافة القصة بكاملها. «في الواقع إنني أمضيت ليالي السبت في شقة بريس.»

لمعت عينا مارغي باشراق وانحنت بشوق نحو ايفا. «و...»

«كذلك جوني كليفنغر، وأربعة من أصدقائه المقربين جداً. كانوا يعيدون تركيب دراجة نارية، وكنت أقوم بما يشبه دور الأم الراعية، أعد لهم الفوشار وأسدي إليهم النصائح التي تعود بالخير عليهم.»

بدت الخيبة على وجه مارغي. «كنت أعرف أن القصة أقلّ بكثير مما سمعتها. الإشاعة لا تكون صحيحة أبداً.» وتنهدت وهي تنهض واقفة. «حسناً، من الأفضل أن أذهب إلى الصف. لقد وعدت بيلي سلولم أني سألتقيه لدقائق بعد الغداء لأساعده في مشروعه الفني.»

بعد أن غادرت مارغي وبقيت ايفا وحدها، أخذت تفكر بما حصل في الأسبوعين الأخيرين. في الواقع، إن الإشاعة كانت أكبر بقليل مما هي عليه حقيقة، لكن كان من المستحيل أن تشرح للمتطفلين المشاعر الرقيقة والأحاسيس المضطرمة التي تعمل بينها وبين بريس. حرارة نظرته المغرية ومشاطرتها لمسته والاحباط الناجم عن معرفتهما أن الرغبة التي يشعران بها تجاه بعضهما لا

يستطيعان التعبير عنها حسياً. كل هذه الأمور مجتمعة كانت جزءاً من لقاءات ليلة السبت. هذا الجزء لم تكن ترغب في إشراك أي شخص به. كان كل ذلك رائعاً جداً، وجديداً جداً، عليها بحيث لم تكن لترغب في مشاركته مع أحد.

أنهت غداءها وغادرت الصالة، متوجهة نحو المكتب لتنظر في صندوق بريدها. حيت السكرتيرة بابتسامة ودودة: «مرحباً، آن.»

فأجابت: «مرحباً، ايفا.» وردت الابتسامة بمثلها وهي تنقل مجموعة من الأوراق من مكان لآخر على الطاولة. «لقد كانت شقيقتك هنا باكراً هذا الصباح.»

«كانت هنا؟» وتجهمت ايفا مستغربة. ماذا كانت كولين تفعل في المدرسة؟ «على الأرجح كانت تقوم ببعض المهام التي أوكلتها إليها السيدة ورثنغتن.» حدثت ايفا نفسها بذلك بصوت عالٍ.

«أعتقد أنها وضعت رسالة في صندوق بريدك.»

«أفعلت ذلك حقاً؟» عبرت ايفا المكتب باتجاه صناديق البريد المثبتة على الحائط. وعندما وصلت إلى صندوقها. سحبت مجموعة من الملاحظات المدونة ورسائل المتصلين بها تلفونياً. تفحصت الملاحظات بسرعة وقلبها يخفق بشدة وهي تقرأ المذكرة التي أفترضت أن كولين تركتها لها. كانت دعوة، لا، كانت استدعاء مباشراً لتذهب في الحال إلى منزل السيدة ورثنغتن فور انتهاء المدرسة.

وسألتها آن: «هل كل شيء على ما يرام؟»

فأجابت ايفا بذهن شارد: «آه، بأحسن حال.» ودّعت آنا،

www.elromancia.com

وتوجهت عائدة إلى غرفة صفها، وقد ارتسمت خطوط القلق على جبينها.

لماذا تريد السيدة ورثنغتن رؤيتها؟ لم يطلب منها مقابلة تلك المرأة في السابق. ما الذي تريده؟

عندما استقلت سيارتها عشية ذلك اليوم متوجهة إلى منزل السيدة ورثنغتن المهيب، لم تكن قد توصلت بعد إلى إجابة لأسئلتها.

يقع منزل آل ورثنغتن عند الطرف الشمالي للمدينة الصغيرة. منزل ضخم وسط مساحة تقدر بخمسة فدادين اعتني بها جيداً.

آرين ورثنغتن لم تكن يوماً اجتماعية مع الأساتذة. لذا لم تدخل ايفا إلى هذا المنزل الفخم من قبل.

اندفعت بسيارتها في الممر الدائري وأطفأت محرك السيارة، ثم جلست برهة تهدىء من روعها. كان هنالك نذير شؤم حيال هذا الأمر برمته. لقد مضى على ايفا أكثر من خمس سنوات وهي تعلّم في مدرسة بواكينا، ولم يُطلب منها أبداً أن تقابل السيدة ورثنغتن. لماذا، فجأة، تريد المرأة العجوز رؤيتها الآن؟

أخذت نفساً عميقاً، وخرجت من السيارة وفي عصبية أخذت تسوّي تنورتها من الأمام. وصلت إلى الباب الأمامي الضخم، ثم قرعت الجرس، وسمعت أصداء الرنين يتردد بعيداً في مكان ما في الداخل.

«آه، ايفا، جميل منك أن تزوريني.» قالت آرين عندما استقبلتها على الباب. وكالعادة كانت المرأة مرتدية ثوباً أنيقاً، طويلاً جعل جسمها الممتلىء يبدو مميزاً أكثر منه

سميناً. وكان شعرها مصففاً وكأنها خرجت للتو من إحدى الصالونات الراقية وقد انبعثت منها رائحة العطر الغالي الثمن.

ابتسمت ايفا. زيارتها... وكأنما كانت تملك غير ذلك الخيار. عندما تأمر الملكة، فعلى الرعية الطاعة.

«تفضلي بالدخول.» ورافقت ايفا إلى البهو، الذي كان في حجم غرفة الجلوس عند ايفا. وشعرت ايفا بنوع من الرهبة من هذا البرهان المادي على الغنى والقوة.

«فلنذهب إلى المكتبة، حيث سنكون أكثر راحة.»

تبعت المرأة إلى غرفة وجدت ايفا أنها من الصعب تسميتها بـ «المريحة» حيث الجدران قد غلّفها خشب السنديان ورفوف الكتب بحيث لم تستطع بعث الحرارة في الجو البارد.

جلست السيدة ورثنغتن على مقعد خلف مكتب كبير من خشب السنديان وأشارت إلى ايفا لتجلس على كرسي أمامها.

جلست ايفا، مستغربة لشعورها الفجائي بأنها ستتعرض لسيل من الأسئلة قد تجعل التحقيق يبدو لطيفاً.

وسألتها السيدة ورثنغتن بلطف: «كيف تجري الأمور في المدرسة؟»

فردت ايفا بصراحة: «جيد، بالرغم من أن الأمور يشوبها دائماً القلق عندما تقارب نهاية العام الدراسي.»

«السبب الذي جعلني أطلب منك الحضور اليوم إلى هنا هو أنني سمعت بعض الإشاعات التي تخصني.»

هل هي نفس الإشاعات التي سمعتها مارغي؟ تساءلت

ايفا وقد انقبض قلبها في صدرها على الفور. هل هناك بند أخلاقي في عقودهم؟ هل هناك إجراء يمنع المدراء والأساتذة من رؤية بعضهم البعض على أسس اجتماعية؟ «إشاعات؟» سألت وقد جف حلقها فجأة من شدة القلق.

أومأت السيدة ورثنغتن برأسها إيجاباً. «عدم استقرار الأمور جعلني أهتم جداً بالاتجاه الذي يقود السيد ماكسويل مدرستنا إليه. أحد الأمور التي سمعتها أنه يخطط لحفل راقص.»

تنهدت ايفا تنهيدة ارتياح هادئة. «أجل، أعتقد أنه ذكر إمكانية إقامة حفل راقص، والطلاب متحمسون لها جداً.»

اتسعت قليلاً فتحتا أنف السيدة ورثنغتن. «طبعاً سيتحمس الطلاب. إنهم لا يملكون النضج ليعرفوا ما هو الأفضل لهم.» وتنهدت بخبث. «أعتقد أنني أوضحت للسيد ماكسويل أن حفلات الرقص ليست ضرورية ومرفوضة.» وتجهمت، مما جعل التجاعيد تتزايد في جبهتها. «وعلمت أيضاً أن السيد ماكسويل يريد إقامة مخبر للكمبيوتر.»

تمتمت ايفا جواباً غير مفهوم، متسائلة عما إذا كانت قد استدعيت إلى هنا لتستمع إلى ابتهالات السيدة ورثنغتن المتذمرة ضد بريس.

«لا أفهم لماذا لم يستطع السيد ماكسويل إدراك أن كل ما نريده منه هو الاهتمام بالأشياء الأساسية، القراءة، الكتابة والحساب. آه، حسناً. لقد أطلت الحديث. لوّحت بيدها بعصبية، السبب الحقيقي الذي دعوتك من أجله إلى هنا هو أنني علمت أنك تقيمين في الشقة المجاورة للسيد ماكسويل.»

أومأت ايفا برأسها وقد اعتراها الحذر فجأة.

انحنت السيدة ورثنغتن إلى الأمام وقد بدت على وجهها ابتسامة ماكرة: «ايفا، بصراحة إنني لا أعتقد أن بريس ماكسويل هو ما نحتاج إليه هنا في بواكينا. إنني بالطبع، أتحمل جزءاً من المسؤولية لعدم تحققي جيداً من المؤهلات الشخصية لهذا الرجل. على أي حال، بالتأكيد لم أتوقع من رجل بهذه المؤهلات المهنيّة، أن يبدو ويتصرف مثل مراهق.»

لم تستطع ايفا أن تخفي ابتسامتها لاستعمالها هذه الصفة. وقالت موافقة: «فعلاً السيد ماكسويل رجل غير تقليدي.»

«تماماً، هذا ما عنيته.» وابتسمت السيدة ورثنغتن بسرور. «إنني سعيدة للغاية لأنك وافقتني الرأي. ما أطلبه منك الآن هو مراقبة السيد ماكسويل. لقد علمت أنه يدعو طلاباً إلى منزله. أود أن أعرف من هم هؤلاء الطلاب وماذا يفعلون هناك بالضبط. وأرغب أيضاً في معرفة ما إذا كان على اتصال مع أي أعضاء آخرين من هيئة المدرسة.»

نظرت ايفا إلى المرأة العجوز في ارتباك. «لا أعتقد أني أدركت ما قلته. هل تطلبين مني أن أتجسس على السيد ماكسويل؟» دهشت ايفا، لموجة الغضب العنيف التي اجتاحتها في الحال. وفي غمرة غضبها لاحظت أمراً مخيفاً وجميلاً في ذات الوقت. إنها تحب بريس ماكسويل وستفعل كل ما في وسعها لتقاتل هذه المرأة التي أحست أنها تهدده.

وقالت السيدة ورثنغتن معترضة: «التجسس كلمة كريهة. إني ببساطة، أريد ما هو أفضل لطلابي، وأنا

لست مقتنعة تماماً أن بريس ماكسويل هو الرجل المناسب لهذه المدينة.» وابتسمت مرة ثانية. «إني ببساطة أنوي أن أجمع معلومات لأعرف ما هي ردة الفعل العامة على مناهج السيد ماكسويل غير العادية. أود أن أعرف ما هي مخططاته للمستقبل لأستطيع معرفة المتاعب التي قد تنجم عنها.»

فأجابت ايفا بقسوة: «إذا كنت ترغبين في معرفة مخططات السيد ماكسويل المستقبلية، فإني أقترح أن تسألي السيد ماكسويل نفسه. أما أنا فلن أكون طرفاً في التجسس وتقديم التقارير عن نشاطاته.»

وقفت السيدة ورثنغتن متجهمة الوجه: «إنني آسفة أننا لم نتفق على هذه النقطة الحاسمة. أعرف عدداً من الأهل والطلاب الذين يحترمونك جداً. ولست متأكدة من أنني أستطيع قول الشيء نفسه عن بريس ماكسويل. طاب يومك، آنسة وينتروب.»

نهضت ايفا، وقد لاحظت أنها قد صُرفت. وتمتمت مودعة وغادرت المكان إلى الخارج. دخلت سيارتها وانطلقت نحو المنزل بأسرع ما يمكن، والفكرة الوحيدة في ذهنها هي أن تصل إلى بريس وتخبره بما جرى بينها وبين رئيسة هيئة الإدارة في المدرسة.

فتح الباب بعد أن قُرع للمرة الثانية. كان يرتدي سروالاً قصيراً من الجينز وقميصاً قطنياً. وقد أمسك مقلاة في يده، مما جعل ايفا تعلم أنها اعترضت تحضيره لعشائه.

«لقد حضرت في الوقت المناسب.» وعكست ابتسامته سروره لرؤيتها. «تستطيعين أن تتذوقي بعضاً من طعامي في غضون خمس عشرة دقيقة.»

فقالت وهي تتبعه إلى المطبخ: «أريد التحدث إليك. أعتقد أن السيدة ورثنغتن تحاول جمع المعلومات لتتخلص منك.»

ابتسم بريس دون مبالاة ووضع المقلاة على النار. وفي حركة رشيقة قطع قسماً من الزبدة ووضعه في المقلاة، ثم أضاف بعضاً من شرائح الفطر الطازج.

«بريس، هل سمعتني؟»

«لقد سمعتك.» انتظر حتى قُليت قطع الفطر، ثم وضع غطاءً على المقلاة واستدار إليها مبتسماً: «حقاً؟ إني لست دهشاً، منذ البداية جعلت آرين ورثنغتن الأمر واضحاً وهو أنني لست الخادم المثالي الذي كانت تفكر به.»

أخذت ايفا تروح وتجيء في المطبخ قلقة. «علينا أن نفعل شيئاً لنوقفها.»

«ماذا تقترحين؟» ودفع بها إلى الكرسي وهو يبتسم لها بلطف، ثم جلس على المقعد المقابل لها. «ماذا تقترحين يا ايفا؟ أن أقص شعري، وأشتري بعض البدلات الرسمية؟ هل تريدين أن أوقف كل البرامج التي نفذتها، وألغي خططي للحفل الراقص؟»

«قص الشعر قد يكون البداية.» قالت ايفا، لكنها لم تعني ذلك. لم تكن ترغب في أن يقص بريس شعره. طول شعره هذا كان جزءاً منه، جزءاً مما جعله على ما هو عليه.

مدّ يده عبر الطاولة وأمسك يدها. «هل تعتقدين حقاً أن طول شعري قد يحدث أي تغيير حقيقي بالنسبة إلى السيدة ورثنغتن؟»

فقالت ايفا موافقة: «على الأرجح، لا لكن علينا القيام

بشيء ما. لا يسعنا أن ندعك تخسر وظيفتك هنا. ربما إذا تحدثت إليها، قد تصلان إلى نوع من التفاهم...»

فقال في قسوة: «تلك المرأة لا تعرف ما تعنيه هذه الكلمة. كلا، ليس هناك شيء يمكن القيام به.» نهض وحرّك الفطر، ثم فتح الفرن وأخذ منه مقلاة مغطاة ووضعها على المائدة. «لقد جهزت شريحة لحم مدخّنة، وسلطة مشكلة ورغيفاً من الخبز الإفرنسي. سوف تبقين لتناول العشاء معي؟»

سكتت ايفا للحظة، ثم أومأت إيجاباً دون تفكير. لم تكن ترغب في مغادرة المكان قبل أن تتأكد من أن لديهما خطة عمل يواجهان بها السيدة ورثنغتن. «بماذا يمكنني أن أساعد؟»

«يمكنك تحضير المائدة. الصحون في الخزانة وآنية المائدة الفضية في الدرج القريب من حوض الغسيل.»

«أعني مع السيدة ورثنغتن.» فقال بلهجة الأمر، وهو يشير إلى الخزانة حيث يضع الصحون: «العشاء أولاً.»

بينما كانت تحضّر المائدة، أكمل بريس إعداد العشاء وخلال دقائق كانت الوجبة جاهزة للأكل.

«إنها لذيذة.» قالت ايفا بعد أن تناولت قليلاً من اللحمة المغطاة بالفطر: «أين تعلمت أن تطهو هكذا؟»

فقال: «من التجربة والخطأ. لقد أمضيت عدة سنوات وحيداً، وكان عليّ أن أختار بين تعلم الطهو، وبين تناول الطعام في الخارج دائماً.»

فسألته: «لماذا لم تتزوج؟» وشعرت على الفور أن وجهها اتقد احمراراً لسؤالها هذا السؤال الشخصي. مع أنها

تساءلت في سرها عن هذا الأمر ملايين المرات منذ أن تعرفت عليه. إنها لم تصدق أن ما من امرأة قد أسرت قلبه طيلة هذه السنوت السابقة.

مضغ طعامه مفكراً للحظة قبل أن يجيب: «أظن أن الزواج لم يكن الأمر الأهم بالنسبة إلي. لقد كان لي علاقات عديدة، ولكن عندما يصل الأمر إلى الزواج، فإنني أصاب دائماً بالارتباك والتردد.» سكت وغضنت جبهته وهو يفكر. «أعتقد أن استرداد حريتي كان دائماً مهمّاً بالنسبة إلي. لقد عملت جاهداً للحصول عليها ولا أريد الاعتماد على أحدٍ إطلاقاً. لقد تطلب مني الأمر سنوات عدة لأتعلم عدم الاعتماد على الآخرين.»

أومأت إيفا إيجاباً، وقد هبط قلبها في صدرها لسماع كلماته. أكدت كلماته، ببساطة أنها مجنونة إن فكرت حتى بإقامة علاقة بينها وبين بريس. لقد أخبرها بطريقة غير مباشرة أنه ليس على استعداد لأن يضحي بنفسه من أجل علاقة طويلة الأمد. لقد حُذرت في حينه. ولكن، لسوء الحظ، فإن قلبها لم يسمع التحذير.

حدقت في قطعة اللحم أمامها، غير راغبة في أن يرى ما شعرت به في قلبها وانعكس من عينيها.

وسألها: «كيف تجري الأمور مع عائلتك؟» لهجته المعتادة جعلتها تدرك أنه لم يلاحظ ما أحست به.

«جيدة، في الواقع، أفضل من جيدة.» وابتسمت ايفا له. «آه، لا زال هناك بعض المعارك التي يجب عليّ الفوز بها، لكنني أعتقد، بشكل عام، أنني ربحت الحرب. لقد اقترحت على والدتي الانضمام إلى نادي البريدج. إنها تقيم حفلة

راقصة.» ونظرت إليه في خجل. «أدين لك بالشكر وعرفان الجميل. لو أنك لم تُشر إلى تلك المشاكل، من الأرجح أنني كنت تركت الأمور تسير على ما كانت عليه وكنت بالتالي ازددت احباطاً دون أن أعرف السبب.»

فقال معترضاً: «لا أعتقد ذلك. إنك امرأة ذكية. كنت ستدركين في آخر الأمر أن بعض التغييرات يجب أن تحصل.» والتمعت عيناه بالإثارة. «بالطبع، بإمكانك استعمال بعض التعديلات، خاصة في الأماكن التي تتعرضين فيها للخطر.»

فقالت ايفا ضاحكة: «إنني أقوم بالتعديلات في تلك الأماكن. إني أتناول العشاء هنا معك الآن وهذه مخاطرة لم أكن راغبة في القيام بها قبل الآن.»

وازداد اللمعان في عينيه. «إن كنت حقاً تريدين المجازفة، فامكثي هنا بعد العشاء وتناولي معي شراباً.» كان هناك تحدٍ واضح في ابتسامته.

فسألت ايفا بحذر، آملة أن لا تندم على ذلك: «أي نوع من الشراب؟»

سألها بريس بعد لحظات وهما يجلسان على أرض غرفة الجلوس: «هل تلاحظين أنها المرة الأولى التي نجتمع فيها وحدنا منذ إنهاء اعتصامي على السطح؟»

أومأت ايفا إيجاباً، مدركة تماماً للواقع بأنهما وحدهما، وأنه يجلس قريباً جداً منها، حتى أنها تستطيع أن تشعر بالحرارة تنبعث من جسمه، وأن تشتم رائحته المميزة. رشفت قليلاً من الشراب، متمنية أن يخفض الشراب البارد من حرارة الأفكار التي تعصف في رأسها. وسألته، في محاولة

لتحريك الحديث بعيداً عن واقع أنهما بمفردهما: «لماذا لا أرى أريكة هنا؟»

«لدي واحدة في نيويورك، قطعة بشعة. عندما أصبحت جاهزاً لأحزم كل شيء عندي وأرحل، لاحظت أنها لا تستحق عناء نقلها، وقررت أن أشتري واحدة جديدة حالما أستقر، لكن لم يتسع لي المجال لذلك. بالإضافة إلى...» زاد من اقترابه منها ووضع ذراعه حول كتفيها قائلاً: «هنالك شيء يجب قوله. لا شيء يضاهي الشعور بالراحة التي يوفرها الجلوس على الأرض خاصة على سجادة وثيرة ألا توافقينني الرأي؟»

فأجابت إيفا مقهقهة: «هل شعرت يوماً بما يوفره لك كأس من الشراب يراق فوق رأسك؟» ثم استعادت رزانتها، وأعادت المحادثة إلى الموضوع الرئيسي الذي قدمت من أجله. «بريس، أتمنى أن تأخذ هذه الورطة مع السيدة ورثنغتن بجدية أكبر.»

فلمعت عيناه كنار زرقاء، ورفع يده وأخذ يعبث بشعرها. «الشيء الوحيد الذي أريد أن آخذه بجد الآن هو أنت.»

نظرت ايفا إلى فراغ الغرفة رافضة أن تقع في لهيب رغباته التي بدت في عينيه اللازورديتين. «لربما أستطيع الحصول على التماس أو شيء كهذا لصالحك.»

«ايفا.» وضع بريس كأس الشراب جانباً وتحرك حتى أصبح في مواجهتها. أمسك وجهها بين يديه. كان بريق الرغبة قد اختفى من عينيه الآن. «المشكلة مع السيدة ورثنغتن ليست مشكلتك. إنها مشكلتي وقد أخبرتك من قبل، أنني أهتم بمعالجة مشاكلي بنفسي.»

«نعم، ولكن...»

قطع اعتراضها بقبلة صغيرة منه، رغم أنها كانت تعرف أن في ذلك شيئاً من الجنون، إلا أنها لم تعترض. أخذ منها بطريقة ما كأس الشراب ووضعه على الأرض. ثم ضمّها إليه.

وأدركت أنها تحبه وتريده، ولن تأبه للغد، لن تأبه لأي شيء سوى لحبها له.

«آه، إيفا يا حلوتي.» تمتم ويداه ما زالتا ممسكتين بها. مررت ايفا يدها في شعرها، وهي تدفعه ليقترب منها أكثر.

«ايفا... آه ايفا.» تمتم وهو يضمها إليه بقوة حتى أحست أن ضربات قلبه قد اختلطت مع ضربات قلبها.

نبح دوغ. كان عواؤه قصيراً وحاداً، مما جعلهما يقفزان في دهشة. سمعت ايفا أظافر الكلب وهي تخربش على السجادة. ثم، فجأة، وجدت نفسها محتجزة بين بريس ودوغ. وأخذ دوغ يلعق وجهها. صرخت «لا» وهي تدير رأسها من جهة لأخرى لتهرب من ملاطفة الحيوان.

«دوغ، لا!» قال بريس متعجباً، وهو يدفع الكلب الذي كان واضحاً أنه اعتقد أنهما يقومان بنوع من الألعاب. دمدم دوغ في مرح وهو يقفز على ظهر بريس ويعضه. «اللعنة. دوغ، لقد قلت، لا.»

كانت نبرة صوته الآمرة كافية لتجعل دوغ يقفز بعيداً ليجلس بالقرب منهما ويحدق بهما في حزن.

قال بريس وهو ينهض: «إني آسف سأضعه في الخارج.»

هزت ايفا رأسها وجلست، وقد شعرت بدوار خفيف من

جراء العواطف المضطربة التي ما زالت تجتاحها. «لا، ليس ذلك ضرورياً.» بدا صوتها مضحكاً، أجشاً وجهورياً لقد ضاعت اللحظة بينهما، وعرفت أنه فيما لو وضع دوغ خارجاً فإنه من الصعب استرجاعها.

اتقد وجهها احمراراً وشعرت فجأة بخجل لم تشعر به من قبل.

«ايفا؟» شعرت بنظرته تحدق فيها ونظرت إليه ورأت امتقاع وجهه الذي لا زال ظاهراً.

ابتسمت بندم، وقد تملكها شعور صغير من الارتياح. «هذا أفضل، بريس. نحن الاثنين لم نستطع السيطرة على عواطفنا، وكدنا نقع في خطأ قد نندم عليه.»

استدار بريس ونظر في حزن نحو دوغ. «مخلوق غبي.» قال بازدراء. وبدا أن دوغ هز رأسه موافقاً.

وضحكت ايفا ضحكة مرتعشة. «ما كان عليك توبيخه. لديه إدراك أكثر منا نحن الاثنين معاً.»

فأجاب بريس: «حسناً، وعيه للتوقيت قد نجح نوعاً ما.» ووقف يمد يده ليساعدها للنهوض عن الأرض. وفي الحال جذبها إليه. «هل لاحظت إلى أي مدى جعلتني مجنوناً؟» قال هذا وقد شعرت بأنفاسه على عنقها، أنفاسه الحارة أحدثت قشعريرة في ذراعيها.

«بريس.» تخلصت من تطويقه لها. «إن الأمر قاسٍ علي حقاً. إني أريدك. لكنني لا أعرف إلى أين سنصل في هذا الأمر.» ولاكت شفتها السفلى، وكبتت رغبة في إخباره أنها تحبه. لن تقول هذه الكلمة قبل أن تعرف ماذا يشعر به نحوها. آه، إنها تعرف أنه يرغب فيها... لكن هناك فرق

www.elromancia.com

شاسع بين الحب والرغبة، وهي ترفض أن تجعل من نفسها أضحوكة.

احتضن وجهها بين يديه وحدّق بها في وقار. وأخذ قلب ايفا يدق بسرعة واهتياج داخل صدرها. «إني أيضاً لا أعرف إلى أين سيصل بنا هذا. كل ما أعرفه أنني لن أعطيك وعوداً كاذبة لأحصل عليك. لا أستطيع أن أخبرك ما قد يحدث غداً، لأني لا أعرف ماذا يحمل إلينا الغد. هذا كل ما أستطيع أن أعطيك الآن. وهذا كل ما عليّ أن أعطيك في هذه اللحظة من حياتي.»

أومأت ايفا برأسها، وقد أصبحت الآن شاكرة جداً لمقاطعة دوغ لهما. «سأذهب إلى المنزل الآن.» قالت وهي تتجه إلى المدخل: «عندي بعض الأوراق التي يجب أن أصححها.» لديها شيء آخر يجب عليها فعله. عليها أن تقيّم ما إذا كان ما قدمه بريس لها كافياً.

الفصل التاسع

«ما رأيك في هذا المكان؟» سألت ايفا بريس حيث سيمضيان نزهتهما قبل أن تفرش الملاءة.

فتمتم قائلاً: «لا بأس، رغم أنني لا أعرف لماذا تصرين على نزهة في الحديقة العامة بدلاً من غداء هادىء في شقتي.»

فابتسمت ايفا وبسطت الملاءة الكبيرة ذات النقوش المربعة. «لأن في كل مرة نتناول الطعام في غرفتك تصر على أن تتناولني كقطعة حلوى.»

فاعترض بسذاجة: «لا أستطيع فعل شيء حيال شهيتي النهمة.»

فقالت وهي تضحك: «أحضرت اليوم كعكة الشوكولا بالبندق من أجل شهيتك النهمة.»

وضع سلة الطعام عند طرف الملاءة، ثم تمدد على ظهره، وأخذ يربت على المكان إلى جانبه. «على الأقل إننا وحدنا تقريباً.» ونظر عابساً إلى أسرة تأكل بالقرب منهما على طاولة خشبية بينما كان ولدان يلعبان على مسافة منهما. أمسك يدها وقد جلست إلى جانبه. «لا أشعر أني أمضيت وقتاً كافياً معك خلال الأسبوعين الماضيين.»

فقالت توافقه: «كانت الأمور مضطربة. لقاءات الأهل والأساتذة في نهاية العام الدراسي دائماً تدفع الروتين العادي بعيداً.» تمددت إلى جانبه، وقد استندت إلى مرفقها.

«لكن عليك أن تشعر بفرحة النجاح، فقد سمعت الكثير من التعليقات الرائعة من الأهل.»

فقال موافقاً: «بشكل عام، كانت التعليقات في معظمها شبه إيجابيه.»

«شبه إيجابية؟» أقسم، إن والدة جوني كليفنغر مستعدة لأن تنادي بك قديساً، إنها متأثرة جداً من التقدم الذي أحرزه جوني.»

آه، على الأقل بدت الأمور وقد خفت حدتها مع السيدة ورثنغتن. تذمرها كان هادئاً على غير عادتها في الأسبوعين الماضيين.»

تجهمت ايفا. «أتمنى أن لا يكون الهدوء الذي يسبق العاصفة.»

مرر يده على خدها قائلاً: «إنه يوم جميل. دعينا لا نفسده بالحديث عن مواضيع غير سارة.» انزلقت أصابعه إلى جانب وجهها وعبر شفتها السفلى حيث استقرت هناك. «أفضل أن أبحث في الأسباب التي تجعلني أضطرب كلما نظرت إليك.»

«هه، لا أعرف. يبدو لي أن الأمر حالة نفسية.»

استند إلى مرفقه حتى أصبح في مواجهتها. لقد أصبح قريباً جداً منها حتى شعرت بأنفاسه على وجهها، كان قربه منها يعذبها مما جعلها تتذكر تلك الليلة التي مرّ عليها الزمن.

«هل تعلمين أن الرجل إذا أثير لمدة طويلة قد يموت؟» لو أنه لم يطرف عينيه، لاعتقدت ايفا أنه مات فعلاً.

آوه، بصراحة لقد سمعت هذا الكلام لأول مرة عندما كنت

في التاسعة عشرة من العمر. لم أصدقه في حينها، ولا أصدقه الآن.»

ومضت عيناه بانفعال لم تستطع ايفا تفسيره. «من هو الشخص الكريه الذي كانت لديه الجرأة لاستعمال مثل هذه الكلمات المؤثرة ليؤثر عليك عندما كنت فتاة بريئة؟»

«كان اسمه جيري، وقد التقيته في الكلية، لقد استمرينا معاً لمدة شهرين، قبل أن يتعرف على فتاة بريئة أخرى والتي صدقت كلامه على ما يبدو. أخيراً، سمعت أنه تزوجها ولديهما ثلاث بنات.»

فقال يغيظها: «لكنك حتى الآن، لم تفسري لي لماذا اضطرب أمامك.»

«ربما لأنك جائع.» أجابته وقد جلست وأمسكت سلة الطعام. «يبدو أن إحضاري لحماً كان شيئاً مناسباً.» وضحكت لرؤية نظرته الغاضبة الساخرة.

بعد تناول الغداء، لم يكن أي منهما على عجلة للعودة إلى المنزل. لذا تمددا على الملاءة، يتحدثان عن أمور حدثت معهما في الماضي، ويتبادلان أحلام المستقبل وأهدافهما. كانت ايفا تتلاقى معه في قربها من والدها، والصدمة والحزن لفقدانه. تحدث هو بدوره، عن وحدته وعزلته كطفل وحيد لدى والدين متقدمين في العمر.

صمت لعدة دقائق. وعندما نظرت إليه لاحظت أنه يغط في النوم. حدّقت به وقد استغلت فرصة النظر إليه حتى الثمالة دون أن تشعر بالاحراج أو تأنيب الضمير.

هبت نسمة، داعبت في لطف خصلات شعره الأسود. بدا وجهه طفولياً وهو نائم، لقد وجدت فيه براءة عرفت أنها

ستختفي سرعان ما يفتح عينيه ويبتسم ابتسامته العاتبة.

متى شغل هذا الرجل قلبها إلى هذه الدرجة؟ متى سيتفوق الحب على الخوف الذي ما زال حتى الآن يعطيها القوة على إبقاء مسافة بينهما؟

استدارت واستلقت على ظهرها وأخذت تحدق في أوراق الشجرة المرقطة من جراء أشعة الشمس فوقهما. لقد أمضت الكثير من الوقت تفكر فيما قاله بريس لها، خلال الأسبوعين الماضيين.

لقد أوضح لها تماماً، أنه لا يعدها بالعيش معاً. كان رجلاً يفكر في اللحظة التي يحياها. نظرت مرة ثانية إلى ملامحه الهادئة. أدركت أنها قد وصلت إلى نقطة اللاعودة. لقد أحبته، وحبها لا يعرف قيوداً، ولا يقبل شروطاً.

كان الأمر أكبر من الرغبة التي أثارها فيها، وأكبر من التجدد في شخصيته المتطورة. كانت تقدّر التزامه تجاه تلاميذ المدرسة، وتحترم قدرته على إثبات نفسه كمدير فعّال. كانت تحب فيه حس الدعابة وطبيعته المحبة. كل ذلك أضيف إلى واقع أنها تحبه. لم تعد تلك الفكرة تخيفها. كانت مستعدة لقبول أن تكون جزءاً من حياته، يوماً ما كانت تأمل أنه مع الوقت سيكتشف أنه يحبها أيضاً، ويكون على استعداد لأن يعرض عليها مشاركته حياته.

أغمضت عينيها، وبدت ابتسامة على شفتيها عندما تخيلت المستقبل مع بريس.

شعرت أن شيئاً ما على وجهها. هزت رأسها وقد لوّحت بقفا يديها فوقه وقد تنهدت بارتياح عندما غادرها هذا

الشعور. لكن سرعان ما عاد ثانية وكأنها حشرة تتراقص على خدها. صفعتها، وسمعت في ذات الوقت ضحكة خافتة وشعرت بيده على عنقها.

فتحت عينيها ووجدت نفسها تحدق في عينيه. دفء زرقتهما كان واضحاً وحساساً. لم يكن في نظرته رغبة تعكر صفو عواطفه. وعندما حدّقت في عينيه كان ما رأته حباً. واتسع قلبها دفئاً لشدة الدهشة. قد لا يكون متأكداً من مشاعره نحوها، لكنها أصبحت تعرف الآن أن أحلامها في مشاركته المستقبل مبنية على أكثر من مجرد آمال وهمية.

وقال وهو يحرك اصبعه على خدها الناعم: «ها قد استيقظت الأميرة النائمة.»

«الأمير الساحر، على ما أعتقد؟» تمددت في كسل ثم جلست وقد لاحظت أن الشمس أشرفت على المغيب. «كم مضى من الوقت ونحن نيام؟»

جلس ونظر إلى ساعته. «ما يقارب الساعتين.» ضحك، مما أظهر غمازتيه الفاتنتين. «هل يعني هذا أني أستطيع نشر إشاعة أني غفوت معك؟»

فضحكت. «لسوء الحظ، أعتقد أن هذه الإشاعة بالذات هي التي انتشرت.» وأعطته يدها ليساعدها في النهوض عن الملاءة.

وسألها بجد: «هل يزعجك ذلك؟ أن يتحدث الناس عنا؟»

«ليس فعلاً. إنني أجد الشهرة مسلّية.» وأشارت إليه أن يلتقط طرف الملاءة، والتقطت هي الطرف الآخر. «من الأفضل أن نذهب إلى المنزل. إن مجموعة ليلة السبت ستصل أبكر مما تتوقع.»

أومأ برأسه إيجاباً: «يجب أن ينهوا تجميع الدراجة النارية الليلة. لقد عملوا بجد لإنهائها من أجل بيعها في المزاد الأسبوع المقبل.»

وسارا مشياً نحو المنزل. مدّ بريس يده وأمسك يدها، وقد شبكت أصابعه القوية أصابعها.

وقال أثناء سيرهما: «لا أستطيع أن أتخيل الصيف هنا، ما زلنا في شهر أيار، والطقس حار جداً.»

«إنه مجرد تمهيد معتدل لما سيليه. قد يكون الصيف حاراً جداً.»

«ماذا يفعل الناس هنا عندما يشتد الحر؟»

«ماذا يفعل الناس في نيويورك خلال الصيف؟» هزّ منكبيه العريضين. «يصبحون غريبي الأطوار ويبقون داخل منازلهم قدر المستطاع.»

فضحكت: «لا بد أننا نحن هنا في بواكينا من سلالة أقوى. حيث تضج المدينة بالحياة خلال الصيف. فتقام الولائم في عيد الاستقلال. ثم، لدينا في شهر آب يوم المؤسس، حيث نقيم معرضاً خيرياً طوال النهار تعقبه حفلة راقصة في الليل.»

ضغط على يدها وابتسم. «أعتقد أنني سأحب الصيف في بواكينا.

وفكرت ايفا وهي ستحب وجوده هنا. كانت تكره دائماً حلول فصل الصيف، عندما كانت والدتها وشقيقتها تعتقدان أنها تحت تصرفهما لأنها ليست مقيدة بعملها. لكن هذا الصيف سيكون مختلفاً. ستحيا حياة خاصة بها هذا الصيف، وتجد سعادتها. سيكون عندها بريس هذا الصيف.

عندما وصلا إلى الرواق، وضع بريس سلة الطعام على الأرض وأخذ البريد من صندوق بريده. قطّب حاجبيه بتجهم حالما نظر إلى الظرف الأول.

فاقتربت منه. «بريس؟ ما الأمر؟» ووضعت يدها على ذراعه.

«إنه من آرين ورثنعتن.» فتح المغلف وأخرج منه الرسالة وألقى نظرة سريعة على محتوياتها.

«ماذا تقول؟»

«إنه بيان عن اجتماع لهيئة الإدارة مساء يوم السبت القادم في المدرسة.» التقت نظرته بنظرة ايفا.

«يبدو أن قراراً سيتم التوصل إليه في تلك الليلة بشأن استمرارية وظيفتي هنا في بواكينا.»

كلماته سرقت دفء ذلك اليوم وجعلت الخوف يسيطر على نفسها. «بريس ماذا ستفعل؟»

فأجاب ببساطة: «لا أعرف.»

وقفت ايفا عند نافذة شقتها، تراقب عتمة الغسق تمتد معلنة آخر لحظات النهار.

ليلة الجمعة. في أقل من أربع وعشرين ساعة سيقرر مصير بريس في بواكينا. بدا الأسبوع المنصرم وكأنه لا نهاية له. لم تمض هي وبريس سوى القليل من الوقت معاً، ولم يتسع لهما الوقت أبداً لمناقشة اجتماع هيئة الإدارة المقبل في المدرسة.

سمعت صوت دراجة بريس النارية وهي تغادر المرآب منذ دقائق قليلة، وقد انطلق هديرها عنيفاً في الشارع وكأن

عفاريت جهنم تطارده. وتساءلت إذا كان ذاك الشعور المرعب باليأس الذي تشعر به هو الذي دفعه إلى ركوب دراجته والانطلاق بها.

كانت متأكدة من أنه لن يبقى، إذا انتهى عمله، هنا. بواكينا مدينة صغيرة وليس فيها سوى مدرسة واحدة. كان بريس المدير، كان مركزه مهماً بقدر أهمية ما قام به. إنه بحاجة إلى مدرسة، وإن لم تتوفر له واحدة هنا، فإنه سيرحل.

رحيل بريس. فكرة كان مستحيلاً عليها أن تقبلها. أمر مؤلم جداً. لقد أصبحت مقرّبة منه جداً، وقد أعطت الكثير مما يجعلها غير قادرة على أن تتمنى له حظاً سعيداً وتتركه يمضي في طريقه.

ابتعدت ايفا عن النافذة وأخذت تذرع أرض غرفة الجلوس جيئة وذهاباً بقلق. لو كان بالإمكان عمل أي شيء قد يغير من رأي السيدة ورثنغتن. لو أن أحداً يستطيع الجلوس والتحدث إليها، ويجعلها تدرك أن التغييرات التي قام بها بريس هي إيجابية وضرورية للتلاميذ.

توقفت عن المشي. لِمَ لا؟ من يكون أفضل من معلم أعجب بعمل بريس ليتحدث إلى السيدة ورثنغتن؟ من يكون أفضل من المرأة التي تحبه لتشرح لها أسلوب شخصيته؟ أمسكت ايفا مفاتيحها وأسرعت نحو السيارة.

حاولت أن لا تفكر بشيء وهي تقود سيارتها إلى منزل السيدة ورثنغتن. فهي لا تريد أن تبدو وكأنها قد أعدت ما ستقوله. كل ما ستقوله لتلك المرأة سيكون نابعاً من قلبها.

أوقفت السيارة في الممر وتمهلت برهة لتعد نفسها

ذهنياً، ثم سارت نحو المدخل الأمامي وقرعت الباب بثقة لم تشعر بها من قبل.

«ايفا!» وبدت الدهشة على وجه السيدة ورثنغتن عندما فتحت الباب.

«هل يمكنني التحدث إليك للحظة؟»

«بالتأكيد.» قالت المرأة لايفا، وقادتها عبر غرفة المدخل إلى المكتبة حيث تحدثتا في المرة الأخيرة. وقالت السيدة ورثنغتن وهي تجلس وراء المكتب: «تفضلي بالجلوس.»

فأجابت ايفا وقد علا الاحمرار وجهها: «أفضل الوقوف.» كذلك وجه المرأة رسم علامات الدهشة ثانية. لكن ايفا لم تكترث. إنها في حاجة لتشعر بالقوة، ولا تستطيع أن تشعر بذلك إذا كانت مستلقية على كرسي.

«ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك، ايفا؟ إنني متأكدة أنك لست هنا من أجل زيارة ودّية.» وشبكت السيدة ورثنغتن يديها ببعضهما فوق المكتب ونظرت نحو ايفا بترقب.

«إنني هنا لأتحدث بشأن بريس، السيد ماكسويل.» بدأت ايفا وأخذت تسرع في الكلام بعدما استجمعت أفكارها. «أعتقد أن عليك إعادة النظر في قرار فصله عن المدرسة.»

«بالتأكيد.» وارتفع حاجباها الأبيضان على جبينها.

«إنه رجل جيد، ومدير رائع. إنه يرى طاقة في كل طفل، وهو يتعهد في إظهار تلك الطاقة.» دارت ايفا حول المرأة ثم جلست على الكرسي، متحمسة لموضوعها.

«سيدة ورثنغتن، أعترف أن أساليب بريس هي في بعض

الأحيان غريبة بعض الشيء، لكنها نجحت. لقد استطاع الوصول إلى الأولاد.»

فأجابت السيدة ورثنغتن بتردد: «آه... أهذا ما ترينه؟»

فصاحت ايفا: «لا تأخذي كلامي عن ذلك.» واهتاجت عواطفها فيما تابعت قائلة: «بل تحققي من السجلات، استدعي أهالي بعض الطلاب.» انحنت بكرسيّها إلى الأمام. «لقد أحدث بريس إثارة سريعة، ليس للطلاب فقط، بل لمعظم هيئة التدريس أيضاً. جعلنا نهتم ثانية، أوليس ذلك أفضل من العودة إلى أسس المناهج التي يمكننا العمل بها؟»

نظرت السيدة ورثنغتن بحدة إلى ايفا. «أخبريني، ايفا هل كنت أتيت إلى هنا لو لم تكوني مغرمة ببريس ماكسويل؟»

استوت ايفا في جلستها، وقد صُدمت وأخذ رأسها يدور. وسألت وهي تضحك ضحكة صغيرة مُحرجة: «هل ذلك واضح لهذا الحد؟»

ابتسمت آرين ورثنغتن لأول مرة. كانت ابتسامة صادقة، دافئة جعلت، وكأنها السحر، التجاعيد تختفي من وجهها. «عيناك تلمعان بقوة في كل مرة تذكرين اسمه.»

انقد وجه ايفا احمراراً، لكنها دعمت نظرة المرأة بفخرٍ وتحدٍ. «أجل، أحب بريس، لكن سبب وجودي هنا لا علاقة له بذلك.» مررت يدها بحيرة في شعرها. «أعرف أن التغيير أمر صعب، لكن ذلك لا يجعله سيئاً. من الجميل لو نستطيع أن نعود بالوقت إلى الوراء، عندما كان الأساتذة يعلّمون الأسس دون أن يتباروا في العوامل المؤثرة الأخرى. لكن الأمور تبدّلت، وإن لم تتغير مدرستنا، سيرتفع عدد

المفصولين عن المدرسة وستستمر معدلات امتحاناتنا في الهبوط. إني أحب بريس كرجل، لكني أكن احتراماً كبيراً وإعجاباً بالسيد ماكسويل المدير.»

«حسناً، هذه شهادة كاملة. بالتأكيد سآخذ بالاعتبار كل ما تفوهت به.»

أومأت ايفا برأسها ووقفت، وقد قالت كل ما أتت لتقوله. وتابعت السيدة ورثنغتن وهي توصل ايفا إلى المدخل الرئيسي: «يجب أن أحذرك. إني عادة لا أتراجع عن قرار أتخذه.»

توقفت ايفا عند الباب وابتسمت ابتسامة عريضة. «سيدة ورثنغتن لقد كنت في الماضي تصرين على رأيك وكنت تنجحين.» بهذه الكلمات، غادرت ايفا المكان تاركة المرأة العجوز واقفة عند الباب فاغرة فمها بدهشة لجرأة ايفا.

كانت قاعة الألعاب الرياضية نصف ممتلئة عندما وصلت ايفا في مساء اليوم التالي لحضور الاجتماع. راحتا يديها رطبتان، وقلبها يخفق قلقاً فيما تفحصت الجمع باحثة عن بريس.

رأته واقفاً قرب المنصة، يتحدث إلى مجموعة صغيرة من الأهل. عندما رآها، اعتذر من المجموعة. راقبته وهو يشق طريقه من خلال الجمع. محيياً واحداً من الأشخاص ثم واحداً آخر. بدا فخوراً، واثقاً مستعداً للمعركة والنصر المطلق. غبطته على ذلك. فقد كانت هشة جداً.

«مرحباً.» قال وهو يرحب بها بابتسامة دافئة كانت تعرف أنها لها وحدها.

أجابته: «مرحباً يا سيدي ماكسويل، من المؤكد أنك تعرف كيف تجتذب الجموع.» وأومأت نحو المدخل الرئيسي حيث لا زال الناس يتوافدون.

«إني دائماً أقوم بأفضل أعمال أمام جمع حاشد من المشاهدين.»

«ليس هذا ما سمعته.» قالت ذلك لتغيظه مستمتعة برؤية غمازتيه اللتين أبرزتهما ضحكته ثم اتزنت وأمسكت بذراعه باهتمام. «ما هي خطتك؟»

«سأعلنها في وضوح. سأخبر هيئة الإدارة عن أهدافي في صراحة وصدق قدر المستطاع.» توقف للحظة ليلوّح بيده عبر الغرفة لأحد الأشخاص. «على أي حال، ما لن أقوم به هو القبول بتسوية مذلّة لي ولمعتقداتي من أجل إرضاء امرأة.»

أومأت برأسها. فهي لم تتوقع شيئاً غير ذلك.

«من الأفضل لي أن أذهب. يبدو أنهم يستعدون ليبدأوا.»

«حظاً سعيداً.» ضغطت على ذراعه في لطف. ثم تركته وراقبته وهو يشق طريقه عائداً إلى المنصة والطاولة الطويلة في مقدمة الغرفة.

وفي دقائق معدودة، بدأ الاجتماع، وتحدثت السيدة ورثنغتن من على المنصة دون استعمال كلمات متكلفة قائلة: «كما يعلم غالبيتكم، لقد دعيت إلى هذا الاجتماع لأناقش استمرارية استخدام السيد بريس ماكسويل.» وسرت موجة من اللغط وسط الجمع، مما جعل السيدة ورثنغتن تطرق مطرقتها لاسترجاع النظام. «كما يعرف البعض منكم، أنجز السيد ماكسويل بعض البرامج المخالفة للقانون نوعاً

ما في الأسبوعين المنصرمين، برامج جعلت الشكوك تساورني حول مدى صلاحيته لمنصبه.» ومرة ثانية ساد الجمع هرج ومرج. وتابعت السيدة ورثنغتن كلامها بعدما عمّ الهدوء من جديد: «كان لديه طلاب يصعدون إلى السطح خلال وقت الغداء. لقاءات في منزله في عطلة نهاية الأسبوع. لقد وعد الطلاب بإقامة حفل راقص، وهو يعلم أن الإدارة لن توافق على هذه الأمور التافهة.» استدارت ونظرت نحو بريس، الذي جلس على الطرف البعيد للطاولة. «لربما، قبل أن نخوض في الموضوع أكثر، لدى السيد ماكسويل بعض الكلمات التي يرغب في قولها دفاعاً عن نفسه.»

وقف بريس وواجه الجمع، وقد بدا بارداً وواثقاً من نفسه كما عرفته ايفا دائماً. عمّ المكان صمت مطبق. «لن أقف هنا وألقي خطاباً للدفاع عن نفسي، أعتقد أن سجلاتي تتحدث عني.» وعاد إلى الجلوس مكانه.

وقفت السيدة ورثنغتن من جديد. «سيد ماكسويل، لقد أخذت الوقت الكافي هذا الصباح لأطلع على بعض السجلات، ويجب أن أعترف أن بعض النتائج قد أدهشتني يبدو أن بعض برامجك كانت فعالة في حفز أولادنا، لكنني ما زلت غير مستعدة لعقد اتفاقية معك للسنة الدراسية القادمة معتمدة على السجلات فقط. ما أود تقديمه لك هو نوع من الفترة التجريبية يمتد حتى نهاية هذه السنة، حيث ستقرر الإدارة خلالها إن كنا نرغب في استمرار خدمتك كمدير في السنة القادمة. هل توافق على ذلك؟»

أومأ بريس إيجاباً، وتنهدت ايفا بارتياح. إذاً لن يفصلوه عشوائياً. لا زال هناك شهر من الدراسة هذه السنة، وهذا

وقت كافٍ ليبرهن فيه للأهل والإدارة إن كانت أساليبه مخالفة للقانون أم لا، وتكون قد فعلت فعلها.

في اللحظة التي انتهى فيها الاجتماع، شقت ايفا طريقها إلى حيث يقف بريس وقال: «أشعر وكأني حصلت لتوي على حكم بوقف الاعدام.»

فقالت ايفا مبتسمة بارتياح: «شكراً لله.»

«لربما بعد أن نخرج من هنا نستطيع أن نجد طريقة مناسبة للاحتفال بحياتي المتجددة هنا في بواكينا.» عرفت من لمعان عينيه أي نوع من الاحتفال يدور في رأسه.

نظرت إليه للحظة وأدركت أنها تريد أن تحتفل معه بنفس الطريقة. أومأت برأسها وابتسمت ابتسامة خجلة.

وقطع عليهما حديثهما انضمام السيدة ورثنغتن إليهما: «يجب أن أعترف، يا سيد ماكسويل، أني حتى مساء الأمس كنت عازمة على إلغاء الاتفاق معك على الفور.»

فسألها بفضول: «ما الذي جعلك تقررين عكس ذلك؟»

وضعت المرأة يدها على ذراع ايفا. «ايفا فعلت. لقد جاءت إلى منزلي مساء أمس، وتناقشنا مطوّلاً حولك. إن الآنسة وينتروب مناصرة لك تماماً.»

«حقاً؟» واستدار بريس ونظر نحو ايفا، وقد بدت نظرته باردة فجأة، ومن دون أي تعبير.

من المؤكد أنها أضواء الشهرة فقط، فكّرت، وابتسمت له ابتسامة لم يقابلها بالمثل. عوضاً عن ذلك، أعاد نظره إلى المرأة العجوز. «في الواقع، لقد كان عندي الآن بضع دقائق لإعادة النظر في عرضك للشرط الاختباري. لقد قررت أنني لا أريده. في الواقع، ستكون استقالتي عندك في الصباح

الباكر نهار الاثنين، وتستطيعين اعتبارها سارية المفعول منذ الآن.»

شهقت ايفا من هول الصدمة وتوقفت السيدة ورثنغتن في دهشة مماثلة.

«والآن، إني أستميحكما عذراً...» واستدار وتوجه نحو باب غرفة الألعاب الرياضية.

«بريس؟» أسرعت ايفا وراءه وهي تشق طريقها وسط الجمع وقد أخفت قلقها المؤلم. لكن عندما وصلت إلى موقف السيارات. كان قد رحل على دراجته. ماذا حصل؟ لماذا استقال فجأة؟ أسرعت إلى سيارتها، وهي تشعر بحاجة لأن تجده وتحصل على بعض الأجوبة، وكانت نوعاً ما خائفة مما قد تتضمنه تلك الأجوبة.

الفصل العاشر

قاد بريس دراجته بسرعة الريح، راجياً أن يهدىء ركوبه الدراجة النارية بهذا العنف والسرعة من العواطف التي استعرت في داخله.

لقد كان ذلك يساعده دائماً في الماضي، الريح تضرب وجهه وخفقان المحرك القوي، كانا ينجحان دائماً في تثبيت عزمه في الماضي، لكن الليلة كان الأمر مختلفاً. فقد كانت معنوياته محطّمة، وبعد ما مرت ساعة على ركوبه دراجته، أدرك أن ما من شيء سيفيده.

لقد اعتقد أن ايفا فهمته، إعتقد أنها عرفت ما هو مهمّ بالنسبة إليه، ولكن من الواضح أنه كان على خطأ. إنها لا تفهم شيئاً، وقد أحبطت أية آمال فكر فيها لصنع مستقبل في بواكينا.

أدار الدراجة، وتوجه عائداً إلى شقته. مهما قاد دراجته فلن يزيل ذلك شعوره بالخيانة. يجب عليه أيضاً العودة إلى المنزل ليكتب استقالته.

توقف أمام شقته ووضع دراجته في الموقف، بعد لحظات سار نحو الباب، وتمهل في خطواته عندما رأى ايفا جالسة في الرواق. كان واضحاً أنها كانت تنتظر عودته.

«بريس.» وقفت عندما دخل الرواق. «كنت أنتظرك. أريد التحدث معك.»

فأجابها، وهو يتحسس مفاتيحه: «لماذا؟» ويبحث عن المفتاح الذي يفتح باب شقته.

«لأني أريد أن أعرف لماذا قررت أن تستقيل؟»

هزّ كتفيه، فتح الباب ودخل. وقبل أن يقفل الباب وراءه، دخلت إلى غرفة الجلوس معه. تنهّد. لم يكن يرغب في الحديث بعد الذي جرى. إن كانت لم تفهم بعد كيف خذلته، فإن الأمور المشتركة فيما بينهما أقل بكثير مما اعتقده.

«بريس؟» وضعت يدها على ذراعه. «أرجوك، أخبرني ما الذي يجري. إنني لا أفهم.»

ابتعد عن لمستها، وقد تحوّل فجأة الإحساس في الخيانة إلى غضب عارم. اللعنة عليها لأنها جعلته يأمل أنهما قد يعيشان معاً في المستقبل، ثم في ليلة واحدة، تقذف هذه الآمال إلى الأرض وتجعله يشعر وكأنه مراهق مجنون مرة ثانية. «طبعاً إنك لا تفهمين.» صرخ قائلاً: «هذه هي كل المشكلة.»

«عم تتكلم؟» بدت ايفا في حيرة صادقة مما أذكى غضب بريس منها.

تحرك عبر الغرفة، ثم استدار ليحدق بها، متمنياً ألا يكون، في تلك اللحظة بالذات، ما زال يريدها. «لقد سمحت لك بالدخول إلى حياتي أكثر مما سمحت لأي إنسان. أخبرتك عن مشاكلي مع أهلي، عن حاجتي للسيطرة على حياتي. أخبرتك أني أهتم شخصياً بمشاكلي. رغم أنكِ عرفت كل ذلك، فعلت الأمر الوحيد الذي لا يمكنني أن أغفره لك، ذهبت إلى منزل السيدة ورثنغتن وحاولت أن تحلي مشكلاتي.»

حدقت ايفا في بريس بدهشة، للحظة، غير متأكدة من سماعها جيداً ما يقول. عندما خرج من قاعة الألعاب

الرياضية بعد أن فجّر قنبلته. شعرت بالقلق والحيرة والاضطراب. أما الآن، فإن الغضب تنامى فيها ليواجه غضبه.

«أنت أحمق مجنون!» شعرت بنوع من الرضى عندما بدا شاحباً من جراء نبرتها. «هل تظن حقاً أن نيتي في الذهاب إلى السيدة ورثنغتن الليلة الماضية كان «لحل مشكلاتك؟» مشت إلى حيث كان يقف. تمعنت في وجهه لتعرف فحواه، تمنّت لو أنها تستطيع رؤية غمازتيه تتراقصان على خديه، تمنّت لو أنه يبتسم إحدى ابتساماته الخبيثة بدلاً من التحديق بها بهذه الحدة. «واضح أنك تحمل الكثير من أحداث ماضيك العاطفية مما جعل حكمك على الأمور ناقصاً بشكل محزن.» نظرت إليه، وقد تسمرت للحظة من جراء نيران الغضب التي ما زالت تتأجج في عينيه. «بريس. لقد ذهبت لأحدث السيدة ورثنغتن كي أصحح خطأها في طردك. ذهبت إلى هناك لأدعمك، وليس لأدافع عنك.»

«ليس هناك من فارق. لقد استخففت بي.» كان تعبيره لا يزال مغلقاً، مظهراً أن لا شيء مما قالته حتى الآن قد أحدث تغييراً.

مدت يدها مرة أخرى ولمست ذراعه. «ذهبت للتحدث مع السيدة ورثنغتن لأني أحبك.» وحبست أنفاسها منتظرة ردة فعله على كلماتها. كان مذهولاً... تعابير وجهه أخبرتها أنه لم يعرف من قبل حقيقة شعورها نحوه.

أغمض بريس عينيه للحظة، وقد ترك كلماتها تتدفق كالبلسم على الجرح. يا إلهي، لماذا أخبرته ذلك؟ لماذا الآن، بعدما تحطم كل شيء؟ فتح عينيه ونظر إليها. «وأنا أحبك،

لكن ذلك ليس كافياً.» بدأ الغضب يخفت في عينيه تدريجياً، ولم يبق الآن سوى استسلام حزين أخاف ايفا أكثر من الغضب.

«لقد كنت تقولين لي دائماً أننا مختلفان جداً. أنا أحب المغامرات بينما أنتِ لا. أنا متهور، وأنت تخططين لكل شيء. ما ترينه أنت دعماً، أراه أنا دفاعاً.» هزّ رأسه متنهداً. «أعتقد أنه من الأفضل أن أرحل، وأجد مدرسة يتفق نظامها مع التغييرات التي أريد أن أحدثها. أجد بلدة تسعني.»

«لكن ماذا عن الأولاد؟» همست قائلة: «ماذا عن التزاماتك نحوهم؟» إنها تتكلم عن نتائج خسارته كمدير. ولم تشأ حتى أن تفكر حيال فقدانه من حياتها.

هزّ كتفيه دون مبالاة. «سيستخدمون مديراً آخر، واحداً يتقيد بمقاييس السيدة ورثنغتن. سيحيا الأولاد، كذلك الأساتذة أيضاً.»

وفكرت ايفا بيأس: «ولكن هل سأحيا أنا؟ إنك لست عادلاً، يا بريس. إنك تجعل ماضيك يتدخل في حاضرك.»

«انتهى الأمر يا ايفا. صباح الاثنين ستكون استقالتي على طاولة السيدة ورثنغتن، وفي غضون أسبوع سأرحل من هنا.»

«هل كنت ستستقيل فيما لو كانت مارغي كيلر أو أي شخص آخر من الأساتذة قد ذهب بالأمس إلى السيدة ورثنغتن؟»

«لم تكن مارغي. لقد كنت أنتِ.»

وأصرت قائلة: «لكنني ذهبت إلى هناك لأني أحبك.» وشعرت بالدموع تحرق مقلتيها.

«كذلك فعل أهلي. كل مرة أصلحوا الأمور لي، كانوا يسرقون جزءاً مني، وأنت فعلت الشيء نفسه.» كان صوته أجشاً وتغمره العاطفة. «لقد انتهى الأمر.»

لم تحاول ايفا أن تعدل تفكيره. لم تفكر سوى في أمر واحد. الهرب، والخروج من هناك قبل أن تنهار وتغيب عن الوعي. «إنك في رحيلك هذا، ستخذل الطلاب وهيئة الأساتذة وستخذلني. لكن الخطأ الأكثر أهمية في كل هذا هو أنك ستخذل نفسك.» استدارت وهرعت خارجة من شقته نحو شقتها.

لم تملء الدموع عينيها وترطب الوسادة فقط، لكنها ملأت قلبها أيضاً. كان الأمر نوعاً ما، أخف لو أنه لم يخبرها بأنه هو أيضاً، يحبها. كان مصير حبها أن يضمحل ويختفي في آخر الأمر، لو أنه لم يبادلها عواطفها. لكن معرفتها الآن أنه يحبها جعلتها تدرك «ما كان ممكناً أن يكون» وهذا ما جعل دموعها تنهمر بغزارة.

إنه على الأقل، جعلها تضحك من جديد. ساعدها على تسوية الأمور المهمة مع عائلتها. تعلّمت أن تعطي نفسها الحق في أن تعيش حياتها. لكن ما نفع حياتها إن لم يكن هو فيها؟

عند الصباح، لم يكن حزنها قد خمد بعد. في الواقع، لقد تعاظم ليأخذ كما شعرت إقامة دائمة في قلبها. كانت تتمنى في داخلها لو أن بريس يعود إلى رشده، ويدرك أنه يدير ظهره إلى المدينة والمرأة اللتين قد يجعلانه سعيداً. لكنها عندما تذكرت النظرة الحاسمة في عينيه، وبرودة لهجته عندما أخبرها بأن كل شيء قد انتهى، عرفت أنها تخدع نفسها

وأنه سيرحل، وكل ما تبقى لديها هو الذكريات والأحلام.

«أمضت الصباح في تنظيف شقتها. تسترق السمع لأي صوت يصدر من الشقة المجاورة. كان وقت الظهيرة عندما سمعته يخرج. عندما رحل رمت بنفسها على الأريكة مرهقة جسدياً من التنظيف الذي قامت به بجنون ومرهقة عاطفياً من كثرة دموعها.

«مرحباً، فلافي.» قالت بنعومة تحدث القطة التي قفزت على المقعد إلى جوارها. احتكت الهرة بها، وكأنها شعرت بحاجة ايفا لأن تُحب. مررت ايفا أصابعها خلف أذني فلافي، غير أن أفكارها كانت مع بريس.

كانت تأمل أن يحمل ذلك الصباح منظوراً جديداً لكل الأمور. كانت ترغب في أن تستيقظ وتكتشف أن ما جرى ليلة أمس كان مجرد حلم مزعج، مجرد كابوس.

ألم تكن منذ أسبوع فقط تتطلع في شوق لتمضية الصيف مع بريس؟ ألم يعلنا صراحة عن رغبتهما في البقاء معاً مساء أمس؟ لاكت شفتها السفلى، وقد شعرت بحرارة الدموع في عينيها من جديد. يا رب كم تستطيع امرأة واحدة أن تذرف من الدمع؟

قفزت عندما سمعت طرقاً على الباب. بريس! لربما كان لديه الوقت ليفكر في كل ما جرى وأدرك أنه تفاعل أكثر مما يجب مع كل تلك المسألة، لربما جاء ليخبرها أنه سيبقى!

دفعت فلافي إلى الأرض، متجاهلة مواءها المعترض، وأسرعت إلى الباب. فتحت الباب في سرعة وشعرت أن توقعاتها أحبطت كما لو أنها بالون قد أفرغ من الهواء. «آه، هذا أنتِ.»

وهتفت كولين وهي تدخل إلى غرفة الجلوس: «طاب مساؤك أنتِ أيضاً.» واستدارت تنظر إلى ايفا. «حزينة جداً، تبدين في حالة مزرية!»

«كانت ليلة متعبة.» قالت ايفا ذلك وهي تجلس على الأريكة وقد تنهدت بحزن.

«كنت في طريقي إلى المصرف وفكرت في أن أمرّ عليك. تريد والدتي أن تعرف ما إذا كان لديك قالباً للكاتو يمكنها استعارته. لقد دعت أعضاء نادي البريدج إلى منزلها هذا الأسبوع وفكرت في أن تصنع لهم قالباً من الكاتو بالشوكولا.

فأجابت ايفا: «طبعاً. تعرفين مكانه، في الخزانة قرب الفرن.»

غابت كولين للحظة في المطبخ ثم عادت والقالب في يدها. وقفت للحظة، تنظر إلى ايفا بفضول. ثم وضعت القالب عند طرف الطاولة وجلست قرب ايفا. «هل أنت بخير يا أختاه؟»

أومأت ايفا برأسها. كانت تخشى أن تتكلم فتنفجر بالبكاء من جديد.

«ايفا؟» ووضعت كولين ذراعها حول كتف أختها. هذا التصرف، إنها المرة الأولى التي تواسيها أختها، جعلت ايفا تتحقق كم أصبحت كولين ناضجة خلال الأسبوعين الماضيين. كان ذلك أيضاً دافعاً جعل دموعها تنهمر ثانية.

«آه، كولين لقد قمت بعمل أحمق.» شهقت ايفا ممسكة بأختها فيما ضمتها كولين إليها.

«أنت؟ ايفا، لا تقومين أبداً بأعمال حمقاء. تذكري، أنا المجنونة، المتهورة في العائلة.»

كلماتها جعلت ايفا تضحك وتتنهد في نفس الوقت. «ليس هذه المرة، يا أختي الصغيرة. هذه المرة أنا فعلت ذلك. لقد وقعت في حب ذلك المدير المجنون، المتهور الذي استقال الليلة الماضية.»

أبعدت كولين نفسها عن ايفا وجلست محدقة بها. «بريس ماكسويل؟ أنت تحبين بريس ماكسويل؟»

أومأت ايفا برأسها، وعطست ومدت يدها لتتناول منديلاً من العلبة الموجودة على الطاولة. «غبية أليس كذلك؟»

نظرت كولين إلى يديها، وقد بدا على وجهها شعور بالذنب. «آه، ايفا، تملكني شعور فظيع.»

مسحت ايفا عينيها ونظرت إلى شقيقتها في فضول. «لماذا تشعرين بهذا؟»

«إنني... أنا من أخبر السيدة ورثنغتن عن مجيء الأولاد إلى شقة بريس مساء كل سبت. وقد شجعتها نوعاً ما على أن تطرده.»

«لماذا؟» نظرت ايفا إلى شقيقتها نظرة شك.

احمرّ وجه كولين من جديد لشعورها بالذنب. «لقد كنت مجنونة. أتذكرين اليوم الذي أعدت لك فيه ذلك الثوب الأزرق وجعلتني آخذه إلى التنظيف؟» أومأت ايفا برأسها، وتابعت كولين كلامها وهي تنظر إلى يديها في ارتباك. «على أية حال، ظننت أنك كنت وضيعة جداً معي، وعرفت أنك تمضين وقتك مع بريس اعتقدت أنه لربما هو من يشجعك أن تكوني معي هكذا. لكن، ايفا لو كنت أعرف شعورك تجاهه،

لما كنت شجعت السيدة ورثنغتن أبداً على طرده.» نظرت إلى ايفا وقد ملأ الحزن عينيها. «إني آسفة، ايفا، إني حقاً آسفة.»

مدت ايفا يديها وضمت شقيقتها إلى صدرها. «لا بأس، كولين. إني متأكدة من أنه لو لم تكوني أنت من ساعد السيدة ورثنغتن، لفعل ذلك شخص آخر. كان واضحاً منذ البداية أن بريس والسيدة ورثنغتن سيواجهان متاعب مع بعضهما البعض.

«لماذا استقال؟»

تركت ايفا كولين. «الأمر لا يهم. لقد استقال وهذا هو المهم، والاحتمالات أنه سيغادر بواكينا هي مائة في المئة.

وسألتها كولين في فضول: «وأنت ماذا ستفعلين؟»

هزت ايفا كتفيها دون مبالاة. «سأعيش.» وأجبرت نفسها على الابتسام. «طبعاً، أستطيع القيام باعتصام على سطح المدرسة، وأطلع وسائل الاعلام بأني سأبقى هناك حتى يعود بريس عن استقالته.»

ضحكت كولين. «لا، ليس هذا من طبعك.» ثم شهقت ونظرت إلى ايفا. «هل أنت متأكدة من أنك ستكونين بخير؟»

فأجابت ايفا: «بخير.» بتأكيد أكبر مما شعرت به فعلاً.

مدت كولين يدها وضغطت على يد شقيقتها، ثم وقفت وتناولت القالب. «أعتقد من الأفضل أن أذهب، سوف أمر عليك لاحقاً، موافقة؟» أومأت ايفا برأسها إيجاباً.

نهضت ايفا عن الأريكة فور مغادرة كولين المكان وجالت في الغرفة متمنية لو أن شيئاً، أي شيء يبعد أفكارها عن بريس.

استدارت عندما سمعت صوتاً غير عادي ينبعث من أمام المنزل، فأسرعت إلى النافذة. نظرت إلى الخارج وشعرت أن قلبها قد قفز إلى حلقها. هناك من ناحية شقة بريس كان ثمة شاحنة تتحرك وبعد برهة سمعت المحرك يتوقف ورأت بريس يخرج من باب السائق ويدخل إلى شقته. لا شيء أكثر تأكيداً لنهاية كل شيء مثل الشاحنة المتوقفة في الخارج.

إنه سيرحل حقاً. وسببت لها تلك الفكرة ألماً حاداً في معدتها. سيجمع حوائجه ويغادر بواكينا. المدينة في حاجة إليه. وهي تحتاجه. لكنه سيدير ظهره إليهما ويذهب بعيداً.

ابتعدت عن النافذة، ومررت يدها في شعرها. يا رب... إنها لن تستطيع تحمل ذلك. شعرت أنها هشة كلعبة من زجاج، خائفة أن تتناثر إلى آلاف القطع الصغيرة.

مررت يدها في شعرها من جديد، وقررت أن ما تحتاجه هو قصة شعر جيدة. عضت على شفتها كي لا تذرف الدمع، وذهبت لتبحث عن المقص.

الفصل الحادي عشر

وقف بريس عند نافذة غرفة الجلوس وأخذ يحدق في الشاحنة المتوقفة أمام منزله. لقد مضى على وجودها هناك ما يقارب الأربع والعشرين ساعة، ولم يجمع أياً من حاجياته حتى الآن.

راقب ايفا وهي تغادر إلى المدرسة قبل لحظات. بدا الأمر غريباً له لأنه لن يذهب إلى هناك هو أيضاً. لكنه سيرسل استقالته إلى السيدة ورثنغتن، والآن ليس ثمة مدرسة يمكنه أن يذهب إليها.

ابتعد عن النافذة متنهداً بعمق. إن عليه أن يبدأ جمع أشيائه، لكنه ما زال غير قادر على استجماع قواه للشروع في ذلك العمل. ليس هناك شيء يبقيه هنا في بواكينا، سوى الذكريات وأحلام لم تكتمل.

ألقى بنفسه متثاقلاً على الكرسي المنحني. مبتسماً دون تفكير وعندما مشى دوغ بتمهل ووضع رأسه في حضنه. داعبه خلف أذنيه، والأفكار تتخبط في رأسه.

هل كان أحمق ليرحل عن هذه البلدة الجميلة، وعن المرأة التي جعلته، لأول مرة في حياته، يفكر في الغد؟ رغم أنه أخبر ايفا مرة أنه لا يستطيع أن يقدم لها أكثر من اللحظة التي يعيشانها، وأنه لم يفكر أبداً فيما هو أبعد من الحاضر. لقد أدرك الآن أن ذلك لم يكن صحيحاً. كان هنالك جزء صغير في داخله يُعد خططاً

للمستقبل، وفي تلك الخطط كانت ايفا دائماً إلى جانبه.

أحنى رأسه إلى الوراء وأغمض عينيه، متمنياً لو يستطيع إعادة تشكيل ما حدث في الأيام الثلاثة الماضية، متمنياً من كل قلبه لو أن ايفا لم تشعر بضرورة ذهابها إلى السيدة ورثنغتن وتدافع عن قضيته لو أنها تركته فقط يتعامل مع الأمور بطريقته الخاصة. لو أنها وثقت به حقاً وتركته يتولى الأمور.

المخزون العاطفي ... عادت كلماتها لتلاحقه. هل كانت على حق؟ هل كان يسمح لماضيه أن يلوّن معتقداته، ويتداخل مع مستقبله؟ هل يستطيع الرحيل من هنا بعيداً عنها؟

«لست متأكداً.» تمتم قائلاً مما جعل دوغ ينظر إليه باستغراب. «ما رأيك أنت؟» أنّ دوغ، وشعر بريس بحاجة ملحة لأن يفعل الشيء نفسه.

تعالى صوت من خارج الشقة: «هاي، سيد ماكسويل!»

نهض بريس وسار نحو الباب، وقد فوجيء برؤية جوني كليفنغر يقف عند مدخل الباحة الخارجية. «مرحباً، جوني، ماذا تفعل خارج المدرسة؟»

«عليك الحضور إلى المدرسة، يا سيد ماكسويل. لقد أرسلت في طلبك.»

«لماذا؟»

«لقد أخبرتني الآنسة وينتروب أن أتأكد من حضورك إلى المدرسة.»

تردد بريس للحظة. ثم أقفل الباب وراءه، وانضم إلى جوني على الرصيف. وبينما كان الاثنان متوجهين نحو

مبنى المدرسة، أخذ بريس يفكر لماذا بحق السماء تريده ايفا أن يذهب إلى هناك.

عندما اقتربا من المدرسة، رأى جمعاً من الطلاب والموظفين متجمهرين في الباحة الأمامية. أسرع خطوته، وأدرك فجأة بالضبط لماذا أرادت ايفا أن يأتي إلى هنا. وأدرك أيضاً لماذا لم يستطع حزم أمتعته. لم يكن يريد أن يغادر بواكينا. لم يكن يريد الابتعاد عن ايفا.

عندما أصبح قريباً، اتجهت أنظاره تلقائياً، إلى أعلى، كاد قلبه أن ينفجر في صدره عندما لمحها. كانت هناك، أعلى السطح، وقد بدت نابضة بالحياة، مثل فراشة وقد ارتدت بدلة خوخية اللون قد احتوى الجزء الأعلى من جسمها حرير جميل. شرنقة، نعم، هذا ما كانت عليه عندما رآها للمرة الأولى. وقد لفّت نفسها بطبقات من التزمت وضبط النفس. لكنها تغيرت، وقد أصبحت الآن مثل فراشة وقد بسطت جناحيها، استعداداً لأن تعانق الحياة.

«لقد جُنّت.»

وأجاب مبتسماً: «تبدو لي أنها بخير.»

فقالت مارغي وهي تنظر إليه بعجب: «لا، لقد فقدت عقلها بالتأكيد. لقد أرسلت جوني في طلبك، وفرانكي جنكنز ليحضر السيدة ورثنغتن.» وأعادت نظرها إلى السطح. «قالت أنها لن تنزل عن السطح حتى توافق أنت على إنهاء هذه السنة وتوافق السيدة ورثنغتن على تمزيق استقالتك.» هزت مارغي رأسها ببطء، مما جعل خصلات شعرها الأشقر تتراقص. «ليس من عادة ايفا أبداً القيام بأمور متهورة ومجنونة كهذه. لا أستطيع أن أتخيل ماذا جرى لها.»

عرف بريس تماماً ماذا جرى لايفا. إنه الحب. وهي تريده أن يعرف مدى حبها له من خلال القيام بأمور شديدة الغرابة. وأدرك فجأة أن سبب ذهابها إلى السيدة ورثنغتن لم يعد مهماً. لا شيء مهماً، سوى أنها تحبه. يا إلَهي، كم هو يحبها أيضاً.

«أرجو أن تعذريني، مارغي. ربما علي الصعود إلى أعلى وأحاول أن أعيدها إلى الصواب.»

ضربت مارغي جبينها بيدها غير مصدقة. «الآن لقد سمعت كل شيء. أنت... تعيد ايفا إلى الصواب؟»

«أجل، أليس الحب عظيماً؟» وأسرع إلى السلم بابتسامة مرحة ليصل إلى السطح وإلى ايفا.

وصرخت ايفا في اللحظة التي وصل فيها إلى السطح: «لا تتفوه بكلمة. أرجوك، اسمعني فقط قبل أن تقول أي كلمة.»

أومأ برأسه إيجاباً. مكتفياً بالنظر إليها. كانت تبدو أجمل من أي وقت مضى. وقد التصق الثوب الخوخي بجرأة على جسمها، مظهراً لون بشرتها وعاكساً لون عينيها الخضراوين. ركز انتباهه على وجهها عندما بدأت تتكلم.

«بريس، بغض النظر عن الأمور الشخصية بيننا، لا يمكنك أن تدير ظهرك وترحل. لقد مددت جسوراً مع الطلاب. لقد أشعلت ناراً، وإن رحلت فإن النار ستخبو.» لمعت عيناها ألماً، وخفضت صوتها فيما تابعت قائلة: «إنني آسفة إن كان العمل الذي قمت به جعلني أحط من قدرك وأخذلك... لم يكن هذا نيتي إطلاقاً، ولكن أرجوك، لا تأخذ المدرسة بجريرة أعمالي. ابق هنا. بواكينا بحاجة

إليك.» عضت على شفتها السفلى، وكأنها تخشى أن تقول أكثر من ذلك.

تقدم بريس حتى أصبح في مواجهتها. رفع إحدى يديه ولمس شعرها بلطف. «لقد استعملت المقص من جديد.»

مررت ايفا يدها في شعرها، وقد بدا الاحراج على وجهها. «لقد أمضيت نهاراً سيئاً بالأمس.»

«عندما نتزوج، هل ستعمدين إلى قص شعري كل مرة تواجهين فيها يوماً سيئاً؟»

«لا، لن أقص...» اختفت كلماتها، وحدقت به في بلاهة بعدما استوعبت ببطء ما قاله لها. «نتزوج؟»

هز رأسه، ومد ذراعيه يأخذها بينهما ويطبع قبلة على خدها. «آه، ايفا.» تمتم قائلاً: «كدت أرتكب غلطة هائلة، لم أكن أدرك كم أنا في أمسّ الحاجة إليك في حياتي.»

كلماته جعلت موجة من الفرح تتفجر داخلها، رفعت يديها نحوه وضمته إليها.

وقال: «من الأفضل أن نخطط لزواج سريع.» وأخذت يداها تعبثان بشعره وهي تدرس ملامح وجهه بنظرة تفيض حباً: «لماذا؟»

ابتسم جاعلاً غمازتيه الجميلتين تظهران بوضوح. «لأنني ما زلت غير مقتنع بأن ليس ثمة خطر في أن يثار الإنسان لدرجة كبيرة. وأنا أشعر بذلك في كل مرة أكون فيها معك.»

ابتسمت ايفا. «إذاً سنخطط لزواج سريع. لا أريد أن أكون السبب وراء وفاة مبكرة.»

وكاد أن يقبلها، لكنه ابتعد عنها عندما سمعا وقع أقدام

تصعد السلم نحوهما. استدارا ينظران إلى الطلاب وقد انضموا إليهما يتزعمهم جوني كليفنغر. «آنسة وينتروب، إذا كان هذا اعتصاماً لجعل السيد ماكسويل يبقى، فإننا جميعاً سنشارك فيه.»

وقف بريس وايفا يراقبان الطلاب يتوافدون حتى تحلّق حولهما جمع حاشد.

«ايفا!»

استدارت ايفا، لترى بدهشة كولين تسرع نحوها: «كنت في طريقي إلى العمل عندما سمعت عن تلك المغامرة التي قمت بها.» وهزت رأسها وابتسمت بشيء من الإعجاب. «لا أصدق أنك تقومين بكل هذا.»

فأجابت ايفا: «إني أعتنق مبدأ بريس.»

«أظن أني سأبقى هنا وأقف إلى جانبك.»

فنظرت ايفا إلى أختها بقلق: «وماذا عن عملك؟ عندما تصل السيدة ورثنغتن وتراك هنا، قد تطردك من وظيفتك.»

هزت كولين كتفيها. «إن فعلت ذلك، فلن تكون المرة الأولى التي أفقد فيها عملي. على الأقل هذه المرة، سيكون هنالك سبب وجيه وراء فقداني العمل.» وابتسمت. «ما زلت عند رأيي إن هذا الثوب سيبدو علي أفضل.»

ضحكت ايفا واقتربت من أختها وضمتها شاكرة لها وقوفها إلى جانبها.

صاح أحد الطلاب وهو ينظر من فوق حافة السطح: «لقد وصلت السيدة ورثنغتن لتوها.»

ساد الصمت الجموع الذين انتظروا المرأة لتشق طريقها

نحو أعلى السطح. وعندما وصلت إلى هناك، سارت إلى حيث يقف بريس إلى جانب ايفا.

قالت وهي تنظر إلى الجموع المحيطة بهما: «صباح الخير. أنتما الاثنان تعرفان بالتأكيد كيف تشكلان جمهوراً.»

فقالت ايفا بتردد: «سيدة ورثنغتن، نحن هنا لنظهر تأييدنا للسيد ماكسويل. نحن لا نريد منه أن يستقيل. نريد منه أن ينهي هذه السنة ويحصل على عقد للسنة القادمة.» ثم أضافت: «دون فترة تجريبية.»

مرت لحظة طويلة من الصمت سألت بعدها السيدة ورثنغتن بريس: «وهل هذا ما تريده أنت؟»

أومأ برأسه، وهو يراقبها عندما فتحت حقيبتها لتسحب منها ورقة عرف أنها ورقة استقالته. «هكذا، أعتقد أنك تريد مني أن أمزق هذه الورقة؟» وأومأ برأسه ثانية.

تنهدت ونظرت إلى مجموعة الأولاد الذين كانوا يراقبون في صمت. «لقد أخبرت مؤخراً بأن هناك أوقاتاً انتصر فيها عندما أكون صلبة في مواقفي.» ونظرت إلى ايفا، التي تغير لونها قليلاً، ثم نظرت إلى بريس. «تأكد بأنه ستكون هناك أوقات حيث ستعتقد أني فعلاً صلبة جداً.»

فرد بابتسامة صغيرة: «وإني متأكد بأن هناك أوقات ستعتقدين فيها أنني مجنون تماماً.»

«من الأرجح أن حرباً ستدور بيننا ولن تربح دائماً.» فابتسم بريس ابتسامة عريضة. «وكذلك أنت.» ضحكت السيدة ورثنغتن. «إنك وقح جداً، يا سيد ماكسويل.»

«أجل، يا سيدتي.»

«لكن يبدو أنك آثرت الكثير من الولاء في الناس الذين عملت معهم. لا بد أنك تفعل شيئاً محقاً.» نظرت إليه لبرهة طويلة، ثم مزقت ورقة استقالته إلى نصفين. «سأبعث لك بعقد جديد هذا المساء.» ثم أشارت نحو التلاميذ. «ألا تعتقد أنه من الأفضل أن تنزل هؤلاء الأطفال عن السطح إلى صفوفهم؟ وبعد، يا سيد ماكسويل، لديك مدرسة عليك أن تديرها.»

استدارت وتوجهت نحو الدرج، وتوقفت قبل أن تهبط السلم. «كولين، هل أنت قادمة؟ عندنا الكثير من العمل لإنجازه اليوم.» ودون أن تنتظر الإجابة، اختفت خلف السلم فيما أسرعت كولين وراءها.

في اللحظة التي غادرتا فيها، عمت صيحة من الابتهاج أطلقها الأولاد فرحاً. صاح بريس مهدئاً الجمع: «حسناً، أيها الأولاد عودوا إلى صفوفكم لقد سمعتم السيدة ورثنغتن. لدينا مدرسة نديرها.»

في غضون دقائق قليلة، خلا السطح من الجميع ما عدا بريس وايفا. سألها وهو يجذبها نحوه: «والآن، أين كنا قبل أن نقاطع بذلك الشكل الفظ؟»

فأجابت ايفا وهي تقترب منه: «أعتقد أننا كنا قد اتفقنا على الإسراع في الزواج.»

فقال وعيناه اللازورديتان تعبران عما يشعر به: «أحبك يا ايفا.»

«وأنا أحبك.» شعورها العميق بالسعادة جعل الدموع تتلألأ في عينيها. «سألتني يوماً إن كنت في حاجة إلى رجل مثلك في حياتي ولم أجبك يومها. أجل، يا بريس. بواكينا تحتاج إليك، لكنني أحتاج إليك أكثر.»

www.elromancia.com

قبّلها قبلة تعد بأنه سيبقى معها إلى الأبد. ثم تنهد آسفاً. «أعتقد أن علينا فعلاً العودة إلى العمل.»

«نعم، علينا ذلك.» وسارا معاً نحو السلالم، أوقفها بريس، قبل أن تبدأ في هبوط السلم.

«ايفا، هل سبق لك أن أمضيت ليلة زفاف رائعة؟» وتراقصت ابتسامته الخبيثة على شفتيه.

«لا.» قالت وهي تضحك: «لكن عندي شعور أن هذا سيحصل في المستقبل القريب.»

فأجاب: «المستقبل القريب جداً.» وسرت في جسمها ارتعاشة لذيذة.

وهمست لاهثة: «إن لم تتوقف عن النظر إلي هكذا، سأكون أول امرأة تموت من شدة التأثر.»

أمسك بريس يدها، وهو يضحك بحيوية، وغادرا السطح معاً، وهما يعلمان أن المستقبل أمامهما.

النهاية

صاحت كولين وهي تدخل الصف الذي جعلته ايفا مكاناً ترتدي فيه ثوبها: «سعيدة هي العروس التي تشرق الشمس عليها.»

ابتسمت ايفا لأختها بعصبية. «إني أتوقع أن يحدث إعصار أو زوبعة. لا أستطيع أن أتصور أن بريس سيترك يوم زفافنا يحدث في يوم صيف عادي دون أية إثارة.»

فقالت كولين توافقها باسمة: «هنالك شيء واحد مؤكد وهو أنه عندما وصل بريس ماكسويل إلى البلدة، جلب معه الكثير من الإثارة. إن مروّجي الشائعات في هذه البلدة لم تسنح لهم فرصة كهذه من قبل.»

أومأت ايفا برأسها واستدارت في عصبية نحو المرآة لترى انعكاس صورتها لآخر مرة. شكراً لله لأنها لم تمسك المقص، بعد إذ اجتاحتها موجة الغضب، باكراً ذلك الصباح. ولقد نما شعرها الآن وها هو ذا مصفف بأناقة تحت القبعة والطرحة البيضاء.

كان الثوب جميلاً وتقليدياً، بثناياه المخرمة وياقته العالية. لقد حاول بريس إزعاجها حيث طلب منها أن ترتدي ثوب زفاف قصير. لكن ايفا أصرّت على اعتباراتها التقليدية واختارت هذا الثوب التقليدي.

بريس، كاد قلبها أن يتوقف عن الخفقان عندما تذكرت أنها ستصبح زوجته بعد أقل من ساعة. من كان يعتقد أن

www.elromancia.com

حياة ذلك الرجل المثير بثيابه الجلدية والذي ظهر خطأ عند بابها، ستتداخل مع حياتها مثل عناقيد الكرمة.

خلال الشهرين الماضيين، منذ اليوم الذي تقدم فيه إليها، وهما في دوامة من السعادة، يعيشان ذروة الحب حتى أنهما كانا يشعران أحياناً أنهما أحمقان. لقد تجادلا وتشاجرا مشاجرات ودية مردها تصرفات بريس غير العادية. ورغبتها الخاصة في التشبث بالوضع الراهن، ولكن كل جدال كان ينتهي إلى تسوية ومصالحة. كان لديها شعور بأن ذلك سيكون أساساً لزواجهما.

استدارت نحو كولين التي كانت تبدو جميلة كالوردة في ثوبها الأزرق الفاتح «كاشبينة» للعروس. وسألتها بقلق: «هل أبدو جميلة.»

«آه، ايفا، تبدين رائعة. ولقد رأيت عريسك منذ دقائق قليلة، وهو يبدو رائعاً حقاً.»

فسألت ايفا بقلق: «هل كان مرتدياً سترة جلدية أو أي شيء من هذا القبيل؟»

فقهقهت كولين وهزت رأسها. «لا، لا سترة جلدية رغم أنني لم أعجب بتصفيف شعره.» وضحكت من جديد عندما رأت النظرة الحزينة في عيني ايفا. «كنت أمازحك... في الواقع بدا مثل أي عريس آخر. إنه رائع في بذلته الرسمية ومتوتر جداً.» وأضافت وهي تصلح طرف ثوب ايفا: «لقد امتلأت القاعة تقريباً.»

أومأت ايفا برأسها. كانا يتوقعان حشداً كبيراً. جميع الطلاب أرادوا حضور حفل الزفاف، لذا فكّر بريس أنه من الأفضل أن يتزوجا في المدرسة في قاعة الألعاب

الرياضية، حيث المقاعد متوفرة لكل من يرغب في الحضور.

اعتصرت معدتها من شدة التوتر عندما فكرت في القاعة وهي ملأى بالناس. لربما كان من الأفضل لو أنهما هربا معاً. لكنها صرفت الفكرة في الحال. علاقة بريس مع طلابه كانت جزءاً مما أحبته فيه، وهو يعتقد أن اشتراك الأولاد في حفل الزفاف هو أمر ضروري. لقد شغلوا أنفسهم طوال الأسبوع بإعداد زهور من الورق، وتزيين قاعة الألعاب، لجعلها ملائمة لإقامة احتفال الزفاف فيها.

طرق أحدهم الباب قائلاً: «لقد حان الوقت.»

نظرت ايفا في الحال نحو كولين بذعر. فضمتها كولين من جديد. «ستكونين بخير يا أختاه. يجب أن تجيدي القيام بهذا الدور، حتى أعرف ما يجب أن أفعله عندما يحين دوري.»

بعد دقائق، وقفت ايفا وحدها في مؤخرة القاعة، وهي تراقب موكب زفافها يأخذ مكانه، لقد تحولت القاعة إلى معبد للحب.

كانت زهور الورق منتشرة في كل مكان، وقد تدلت من الجدران متشابكة لتشكل سلاسل متناثرة على الأرض. وعلق الطلاب كرة زجاجية في السقف تلألأت وهي تبعث بأضوائها التي أضفت على القاعة هالة سحرية.

عندما بلغ موكب الزفاف ذروته، بدأت سيرها على الأرض المصقولة، وهي تسمع حفيف السكون الذي أصاب الحضور. ركّزت نظرها على بريس، الذي بدا طويلاً ووسيماً. وقد امتلأت عيناه شعوراً عميقاً خطف أنفاسها.

كادت تصل إلى جانبه تقريباً عندما لاحظت من جلس إلى قربه. إنه دوغ وقد رُبط شريط على أذنه المشرومة، لقد بدا بشعاً أكثر من أي وقت مضى، ومغتبطاً أن يكون جزءاً من الإثارة. كان يقبض بفمه على الوسادة التي تحمل خواتم الزفاف بإحكام.

اختفت مخاوف ايفا كلها، كل شكوكها رحلت بعيداً فيما تصاعدت ضحكة في داخلها. آه، نعم هذا الرجل الذي ستتزوجه قد أحضر معه الكثير من الإثارة عندما حط رحاله في هذه البلدة. لقد أحضر معه أيضاً شيئاً جديداً، شيئاً رائعاً دخل حياتها في الصميم شيئاً يدعى الحب.

تمت

www.elromancia.com